سلطان العارفين

مولانا

جلال الدين الرومي

سلطان العارفين

مولانا
جلال الدين الرومي

يوسف أبو الحجاج الأقصري

تقديـم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وبعد

هذا إصدار متميز عن مولانا جلال الدين الرومي الشاعر العالم الفقيه المتصوف، صاحب المثنوي المشهور وصاحب الطريقة المولوية...

* ولد في بلخ يوم 30 من سبتمبر عام 1207م واسمه بالكامل محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكري وبالفارسية سُمي «جلال الدين محمد بلخي»، وعرف أيضا باسم مولانا جلال الدين الرومي.

* ومن بلخ في أفغانستان انتقل مع أبيه إلى بغداد وهو في الرابعة من عمره فترعرع بها في المدرسة المستنصرية حيث نزل أبوه، ولم تطل إقامته فقد قام أبوه برحلة واسعة ومكث في بعض البلدان مددا طويلة، وهو معه ثم استقر في قونيه عام 623هـ في عهد دولة السلاجقة الأتراك.

* عرف جلال الدين الرومي بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية وتولى التدريس في قونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه عام 628هـ ثم ترك التدريس والتصنيف وتصوف عام 642هـ ونظم الأشعار.

* تركت أشعاره ومؤلفاته الصوفية والتي كتبت أغلبها باللغة الفارسية وبعضها بالعربية تأثيرا واسعا في العالم الإسلامي، وفي العصر الحديث ترجمت بعض أعماله إلى كثير من لغات العالم ولقيت صدى واسعاً جداً إذ وصفته البي بي سي عام 2007م بأنه أكثر الشعراء شعبية في الولايات المتحدة الأمريكية.

* توفي عام 1273م ودفن في مدينة قونية وأصبح مدفنه مزارا إلى يومنا هذا وبعد مماته قام أتباعه وابنه سلطان بتأسيس الطريقة المولودية الصوفية والتي اشتهرت بدراويشها...

* مع الشاعر والعالم والفقيه والصوفي جلال الدين الرومي يدور إصدارنا هذا متمنيا أن يكون إضافة جديدة للمكتبة العربية.

والله الموفق والمستعان

المؤلف

يوسف أبو الحجاج الأقصري

الفصل الأول

بطاقة تعارف

بطاقة تعارف

الاسم: جلال الدين الرومي

بالفارسية جلال الدين محمد بلخي

الميلاد: 30 من سبتمبر 1207م

مكان الميلاد: مدينة بلخ

الوفاة: 17 من ديسمبر 1273م عن عمر يناهز 66 عاماً

مكان الوفاة: مدينة قونية

المهنة: شاعر وفيلسوف وأديب ومتصوف

اللغات: اللغة الفارسية واللغة العربية

أشهر أعماله: فيه ما فيه، المثنوي، ديوان التبريزي، الرباعيات، ديوان الغزل، المجالس السبعة، الرسائل.

أشهر قصائده: أنين الناي

أشهر أقواله: مَنْ لا يركض إلى فتنة العشق

يمشي طريقا لا شيء فيه حي

«موجز سيرته»

نسبه:

هو جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن حسين بن أحمد الخطيبي بن القاسم بن المسيب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن أبي طاهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التميمي القرشي البكري البلخي...

حياته:

ولد في منطقة بلخ في خراسان وما يعرف حالياً باسم أفغانستان في 6 من ربيع الأول 604 هـ الموافق 30 من سبتمبر 1207م ويعتقد بعض أتباعه أنه ولد في مدينة صغيرة تسمى «واخش» في طاجيكستان الحالية وحينها كانت بلخ تابعة لإمبراطورية الخوارزم الخرسانية.

* كانت عائلته تحظى بمصاهرة البيت الحاكم في خوارزم، وكانت أمه «مؤمنة خاتون» ابنة خوارزم شاه «علاء الدين محمد»، وكان والده

«بهاء الدين ولد» يلقب بسلطان العارفين لما له من سعة في المعرفة والعلم بالدين والقانون والتصوف وقد ورث منه هذا اللقب..

* عند قدوم المغول هاجرت عائلته هربا إلى نيسابور إذ التقى الرومي هناك بالشاعر الفارسي الكبير «فريد الدين العطار» الذي أهداه ديوانه «أسرار نامة» والذي أثر عليه وكان الدافع لغوصه في عالم الشعر والروحانيات والصوفية.

* ومن نيسابور سافر مع عائلته وهناك لقب بـ«جلال الدين» ، ثم تابعوا الترحال إلى سوريا ومنها إلى مكة المكرمة رغبة في الحج، وبعدها واصلوا المسير إلى الأناضول واستقروا في كارامان لمدة سبع سنوات حيث توفيت والدته.

وتزوج الرومي «بجوهر خاتون» وأنجب منها ولديه «سلطان ولد» و «علاء الدين شلبي»، وبعد وفاة زوجته تزوج مرة أخرى وأنجب ابنه أمير العلم «شلبي» وابنته «ملكة خاتون».

* في عام 1228م توجه والده إلى قونية عاصمة السلجوقيين بدعوة من علاء الدين كيقباذ حاكم الأناضول واستقروا بها حيث عمل الوالد على إدارة مدرستها.

* تلقى جلال الدين الرومي العلم على يدي والده ويدي الشيخ

سيد برهان الدين من بعد وفاة والده وظل لمدة 9 سنوات ينتهل علوم الدين والتصوف، وفي عام 1240م توفي برهان الدين فانتقل الرومي إلى مزاولة العمل العام في الموعظة والتدريس في المدرسة، وخلال هذه الفترة توجه الرومي إلى دمشق والتقى فيها بالشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي صاحب كتاب الفتوحات المكية وأهداه بعض أعماله العربية، وقضى فيها أربع سنوات حيث درس مع نخبة من أعظم العقول الدينية في ذلك الوقت..

* وبمرور السنين تطور جلال الدين الرومي في كلا الجانبين جانب المعرفة وجانب العرفان حين اختار التصوف طريقا.

* في عام 1244م وصل جلال الدين الرومي إلى مدينة «قونية» مدينة الشاعر الفارسي «شمس الدين تبريزي» باحثا عن شخص يجد فيه خير الصحبة وقد وجد الرومي ضالته ، ولم يفترق الصاحبان منذ لقائهما حتى إن تقاربهما ظل دافعاً لحسد الكثيرين على جلال الدين الرومي لاستئثاره بمحبة القطب الصوفي الكبير «التبريزي»..

* وفي عام 1248م اغتيل «التبريزي» ولم يُعرف قاتله، ويقال إن شمس الدين التبريزي سمع طرقا على الباب وخرج ولم يعد منذ ذلك الحين.

* وحزن الرومي على موت التبريزي حزنا شديداً فقد أحبه حبا عميقا خلف وراءه أشعارا وموسيقى تحولت إلى ديوان سماه «ديوان شمس الدين التبريزي» أو «الديوان الكبير»..

* وحتى مماته كان الرومي يقدم المواعظ والمحاضرات إلى مريديه ومعارفه وللمجتمع ، ووضع معظم أفكاره في كتب بطلب من مريديه.

* توفي جلال الدين الرومي في 17 من ديسمبر 1273م وحمل نعشه أشخاص من ملل خمسة إلى قبر بجانب قبر والده وسمى أتباعه هذه الليلة بالعرس وما زالوا يحتفلون بهذه الليلة إلى الآن.

تعاليمه:

كان جلال الدين مسلماً مؤمناً بتعاليم الإسلام السمحة لكنه استطاع جذب أشخاص من ديانات وملل أخرى وذلك بسبب تفكيره المرن المتسامح فطريقته تشجع التساهل اللا متناهي مع كل المعتقدات والأفكار كما كان يدعو إلى التعليل الإيجابي ويحث على الخير والإحسان وإدراك الأمور عن طريق المحبة، وبالنسبة إليه وإلى أتباعه فإن كل الديانات خيرة وحقيقية بمفاهيمها، لذلك كانوا يعاملون المسلمين والمسيحيين واليهود معاملة سواسية.

* وككل الصوفيين آمن الرومي بالتوحيد مع حبه لله عز وجل، وعاش مولانا جلال الدين الرومي معظم حياته في «قونية» بتركيا والتي كانت في القرن الثالث عشر الميلادي مركز التقاء العديد من الثقافات بالطرف الغربي من طريق تجارة الحرير الواصل ما بين العوالم المسيحية والإسلامية والهندوسية وحتى البوذية. لقد ولد في بلخ «أفغانستان الآن» وطورد مبكرا من قبل الغزو المغولي إلى قونية «عاصمة السلاجقة بآسيا الصغرى» وخلف أباه فأصبح متعلمًا ومدرساً في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كانت دراسته وتدريسه بثلاث لغات، التركية لغة العوام، والفارسية لغة الأدب والعربية لغة القرآن والمراسم الدينية، وكان مولانا جلال الدين الرومي يكتب بها جميعاً وإن تغلب عليه الفارسية.

* ويبدو أن طريقة جلال الدين الرومي في التدريس قد مرت بأطوار محددة، هي ما قبل لقائه بشمس الدين تبريز وفيها أبدع كتابه «فيه ما فيه»، وهي دروس فقهية إلى عفوية الانجذاب الصوفي حتى منتصف عمره وفيها أبدع «ديوان شمي تبريز والرباعيات» وآخرها رحلة القصص المركبة والغنائيات والتعاليم وفيها أبدع «المثنوي» وهو ما شغل السنوات الاثنى عشر الأخيرة من عمره.

* لقد كان في السابعة والثلاثين عندما صادفه القطب الصوفي «شمس الدين تبريز» وكان القطب الصوفي في حوالي الستين من عمره، وحتى ذلك الحين كان جلال الدين الرومي صوفيا تقليديا نوعا ما، وكان كلاهما يذهبان في صحبة تطول أسابيع.

* ويرى بعض المؤرخين الذين درسوا حياة جلال الدين الرومي وإنتاجه الفكري والعقلاني بأنه أبدع إبداعًا لا مثيل له ولن يستطيع أى شاعر مهما ملك من قوة التعبير أن يبلغ ما بلغه المتصوف الكبير جلال الدين الرومي.

* ويذكر بعض المؤرخين أن جلال الدين الرومي عاش طوال حياته بعزة وكرامة ولم ترهبه الجيوش أو تعصف بمشاعره أو أحاسيسه قوتها وجبروتها مهما كبرت وعظمت، ولم يخف يوما من الطغاة الذين كانوا في زمانه مسلطين على كافة مقدرات الشعوب.

* لقي جلال الدين الرومي بعد موته من التكريم والتقدير والتعظيم ما لقي في حياته فقد رصدت الأموال الوافرة لبناء ضريح له، وأقيمت فوقه قبة عرفت بالقبة الخضراء وخصص الوزير «معين الدين براونه» لذلك مبلغ 130 ألف درهم كما تبرع «علم الدين قيصر» أحد أغنياء قونية بثلاثين ألف درهم تقديرا لمكانة هذا العالم الصوفي الجليل «مولانا جلال الدين الرومي».

لمحات من
مناقب جلال الدين الرومي

* لقد كان العلامة الشيخ جلال الدين الرومي يتمتع بمناقب سامية، وأخلاق عالية، وأفكار عرفانية مبدعة، لم نعثر في كتاباته وأشعاره على ما يدل على أنه حاول التقرب من الملوك أو أصحاب النفوذ والسلطان، بل على العكس ارتبط ارتباطا وثيقاً بتلاميذه ومريديه ووقف ذاته على مساعدة الفقراء والمحتاجين وتقديم المساعدات للضعفاء والمعوزين بأمانة وإخلاص، وابتعد عن كل ما يمت إلى السياسة والإمارة والملك بأية صلة لا من قريب ولا من بعيد..

* ويذكر أتباعه وتلاميذه بأن آخر وصاياه كانت «أوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية، وبقلة الطعام، وترك الشهوات على الدوام، واحتمال الجفاء من جميع الأنام، وترك مجالسة السفهاء والعوام، ومصاحبة الصالحين والكرام، فإن خير الناس مَنْ ينفع الناس، وخير الكلام ما قل ودل.. والحمد لله»..

* قالوا عنه أنه ثالث أهل الحق فليسوف مبدع وشاعر عبقري، وعلامة لا يُجارى، واعتبره الأدباء من أكبر شعراء فارس على الإطلاق، تميز بمعانيه المبتكرة وأسلوبه العميق، وقلمه الرشيق، وبحثه الدقيق، وعرفانه العقلاني الحقيقي..

* اسمه كما ورد في المصادر التاريخية «جلال الدين محمد» واشتهر وعرف في الأوساط العلمية بـ «مولانا جلال الدين الرومي» نسبة إلى بلاد الروم حيث قضى الشطر الأكبر من حياته الحافلة بالخصب والإنتاج.

« مولده وألقابه ورحيل أسرته »

كانت ولادته في مدينة بلخ يوم السادس من ربيع الأول من عام 604هـ الموافق الأول من سبتمبر عام 1207م، ولذلك لقب أحيانا باسم «جلال الدين محمد البلخي» نسبة إلى مدينة بلخ التي ولد بها.. ولكن اللقب الذي غلب عليه وعرف به بين الباحثين والعلماء على مر العصور هو «الرومي» نسبة إلى أرض الروم «بلاد الأناضول» التي انتقل إليها وقضى بها معظم حياته، ويقال إن جلال الدين الرومي ينتسب من ناحية الأب إلى الخليفة أبو بكر الصديق.

ونتيجة للاضطهاد الذي لقيه والده «بهاء الدين ولد» على يد «علاء الدين محمد خوارزم شاه» سار إلى نيسابور عام 608هـ حيث زار الفيلسوف الصوفي «فريد الدين العطار» الذي أخذ ولده «جلال الدين الرومي» بين ذراعيه وقال لوالده «إن هناك مستقبلاً عظيما ينتظر مستقبل هذا الطفل» يقصد جلال الدين الرومي وقيل إن الشيخ العطار زوده ببعض الكتب المذهبية ثم توجه مع والده إلى بغداد ومنها إلى مكة حيث استقر فأقام فيها أربع سنوات، وبعدها توجهت العائلة إلى مدينة «لاندره» التي تعرف الآن باسم «بقرمان» فأقامت فيها العائلة سبع سنوات.

* ويقال إن جلال الدين الرومي تزوج خلال هذه المدة من فتاة اسمها «جوهر خاتون» وهي ابنة «لالا شرف الدين السمرقندي» فأنجبت له ولدين هما «علاء الدين» و «بهاء الدين» الذي عرف فيما بعد باسم «بهاء الدين سلطان ولد».

* وأخيراً حطت عائلة الرومي الرحال في مدينة «قونية» التي كانت في ذلك الوقت عاصمة للحاكم السلجوقي «علاء الدين كتعبان» وفي عام 628هـ توفي والده العلامة «بهاء الدين» فحزن عليه

جلال الدين الرومي حزنا عميقا كونه كان يدرس له العلوم والمعارف ويشمله بعطف وحب كبيرين..

* وبعد مرور فترة قصيرة على وفاة والده وصل إلى «قونية» العالم الجليل «برهان الدين محقق الترمذي» الذي كان صديقا لوالد جلال الدين الرومي وقد سمع بكرم سلطانها علاء الدين السلجوقي فلجأ إليها بعد أن أخرجه الغزو المغولي من موطنه الأصلي..

* شغل العلامة «برهان الدين محقق» بقونية المنصب الوظيفي الذي كان يشغله والد «جلال الدين الرومي»، وقد تلقى جلال الدين الرومي العلم على يديه بعض الوقت ثم رحل جلال الدين الرومي إلى دمشق التي كانت مقراً للشيخ محيي الدين بن عربي فالتقى به ودرس على يديه العلوم الباطنية التأويلية ونهل من ينبوع معارفه وزامل الشيخ صدر الدين القوتي تلميذ الشيخ محيي الدين بن عربي.

«عودة الرومي إلى قونية»

* عاد جلال الدين الرومي إلى قونية عام 638هـ وكان «غياث الدين كيخسرو» قد أصبح سلطانا عليها، وهناك بدأ جلال الدين الرومي يمارس العمل الذي أعد نفسه له وهو الإرشاد والوعظ وليس من شك أنه كان مرشداً وواعظاً بالغ التأثير، ومعلماً سيطر على جوارح وأحاسيس تلاميذه، فأسلوبه في مجالسه، وفي شعره التعليمي يكشف عن مدى براعته وعمق بلاغته..

لقاؤه مع التبريزي

وظل جلال الدين الرومي يعمل بالتعليم والإرشاد نحو أربع سنوات، وفي شهر رجب عام 642 هجرية بينما كان شاعرنا العلامة «جلال الدين الرومي» يجلس في أحد الأركان المنعزلة في خلوة نفسية بقرب غدير ماء ينظم الشعر، مر به شيخ كبير تظهر على محياه علائم الإجلال والاحترام، فرحب به جلال الدين الرومي وأجلسه بجواره، وراح ينظر إليه بتمعن وروية دون أن ينطق بكلمة واحدة، فقال له الشيخ الكبير: ماذا تفعل هنا يا بني وحيداً؟ فابتسم

جلال الدين الرومي بحياء ومهابة وقال له: ـ أبحث في عالم الشعر والخيال، وأستلهم الوحي والجمال، وأتأمل بهذه الموجودات التي أوجدها موجودها، فيختلط عليَّ فلا أشعر كيف السلوك إلى معارك الحقيقة الكامنة خلف الموجودات..

* فقال له الشيخ بعد أن أخذ بعض ما كتبه جلال الدين الرومي من أشعار وألقاه في الماء، قال له الشيخ: أنا مَنْ يدلك يا بني على ما تبحث عنه، وأخذ يدله بحنكة وعمق على الطريق الواجب سلوكها لسير أعماق علم الحقيقة، فأعجب به، وأمسك بتلابيبه وقال له: لن أدعك تذهب دون أن تكمل ما أنت بصدده، ثم جرى التعارف بينهما، ولم يكن ذلك الشيخ سوى «العلامة شمس التبريز» فأخذه جلال الدين الرومي إلى داره، وبقيا معا لا يفترقان لمدة عامين، ولا يعلم أحد كيف تحول «جلال الدين الرومي» بعد اجتماعه بشمس تبريز إلى إنسان آخر اختلفت كل أحواله عما كانت عليه من قبل..

* لقد استطاع «شمس تبريز» أن يُبعد جلال الدين الرومي عن تلاميذه ويجعله يعرض عن الوعظ، وينصرف إلى حياة المعرفة الحقانية، وينطلق في التعبير عن حياته الجديدة بفيض غامر من الشعر بلغ أسمى درجات العبقرية..

* وتذهب بعض النصوص التاريخية إلى القول إن تلاميذ جلال الدين الرومي قد حقدوا على ذلك الشيخ «شمس تبريز» الذي صرف عنهم أستاذهم وهاجموه في ملتقياتهم فما كان من «شمس تبريز» إلا أن سافر سرا إلى دمشق، فحزن جلال الدين الرومي حزنا شديدا وابتأس لابتعاده عنه ونظم كثيرا من شعره الوجداني في فترة الفراق تلك، ولم ينقذه من أحزانه إلا ابنه «سلطان ولد» الذي ذهب إلى دمشق وعاد بشمس تبريز إلى والده جلال الدين الرومي.

الفتنة ومقتل شمس تبريز

في شهر ذي القعدة من عام 644هـ اندلعت فتنة كبرى في قونية وقتل في تلك الفتنة شمس تبريز وابن جلال الدين الرومي البكر «علاء الدين» فتألم جلال الدين الرومي كثيرا لفقد مرشده ومعلمه ومثله الأعلى، وأيضا لفقد ولده «علاء الدين» فبكى من أعماق نفسه الحزينة وهتف بقصائد لاهبة ممتلئة بالحزن اللاعج الدفين والغزل الديني العميق وسمى تلك القصائد «ديوان شمس تبريز».

«رثاء شمس تبريز»

كان مما كتبه جلال الدين الرومي في رثاء معلمه شمس تبريز ما يلي: -

ـ مَنْ ذا الذي قال إن شمس الردح الخالدة قد ماتت؟

ـ ومَنْ الذي تجرأ على القول بأن شمس الأمل قد ولت؟

ـ إن هذا ليس إلا عدوا للشمس وقف تحت سطح وربط كلتا عينيه ثم صاح: ها هي ذي الشمس تموت..

* إن هذه المحبة القائمة على الوفاق الروحي بين جلال الدين الرومي والتبريزي كانت ذات أثر عظيم في إنتاجه الشعري وقد تجلت ثمارها العظيمة حين تمخضت عن ديوان من الغزل الصوفي الرائع أسماه جلال الدين الرومي «ديوان شمس تبريز» ولم يكتف جلال الدين الرومي بإطلاق اسم صديقه على ديوانه بل كان ينسب إليه الفضل في تعليمه الشعر وبما أثاره في روحه من وجد وحنين ومحبة بلغت بالروح غاية الصفاء وخرج بها من عالم الحسن إلى عالم ما وراء الحسن.

«أنا وأنت»

وكتب الرومي عن لحظات لقائه مع شمس التبريزي فقال:

* ما أسعد تلك اللحظة حين نجلس في الإيوان أنا وأنت

ـ نبدو نقشين وصورتين.. ولكننا روح واحد.. أنا وأنت

ـ إن لون البستان وشدو الطيور يهبنا ماء الحياة

ـ في تلك اللحظة التي تذهب فيها إلى البستان أنا وأنت

ـ وتقبل نجوم الفلك رانية إلينا بأبصارها

ـ فتجلو القمر نفسه لتلك الأفلاك أنا وأنت

ـ أنا وأنت، أنا وأنت نبلغ بالذوق غاية الاتحاد فنسعد ونستريح من خرافات الفرقة إلى أنا وأنت

ـ وسيأكل الحسود طيور الفلك ذات الألوان الباهرة

ـ حينما تشاهدنا نضحك جذلين على تلك الصورة ـ أنا وأنت

* لقد كان التبريزي معلما روحيا لجلال الدين الرومي، وقد بقيت ذكراه عالقة في ضمير جلال الدين الرومي تتردد في أشعاره الغنائية، وحين بدأ جلال الدين الرومي في نظم «المثنوي» بعد فقدان هذا الصديق الروحي بسنوات عديدة، كان شاعرنا لا يزال يستشعر نحوه المحبة والوفاء.

* وقد ذكره «جلال الدين الرومي» في مواطن متعددة من «المثنوي» بأرفع عبارات الإعزاز والإكبار، ولم يتخذ حديثه عنه نغمة الرثاء ولا طابع البكاء، بل كان يذكره وكأنه حي، وكأنما هذا الفراق

لم يحل دون ما كان يستشعره جلال الدين الرومي من محبة لصديقه وموجهه الروحي شمس تبريز.

ومن أمثلة ما قاله عنه في «المثنوي» ما يلي: ـ

ـ وحين جاء وجه شمس الدين حجبت شمس السماء الرائعة وجهها.

ـ فهذا الشذى قد جذب انتباه روحي، إذ وجدت فيه رائحة قميص يوسف.

ـ فبحق صحبة السنين، اذكر لنا حالاً من أحواله الطيبة

ـ حتى تضحك الأرض والسماء وتزداد قدرة العقل والروح والعين مائة مرة!

ـ وماذا أقول، وليس في عرق واع، ليشرح حال ذلك الرفيق الذي لا ند له؟

* وقد أنشأ جلال الدين الرومي الطريقة المولوية ذكرى لهذا الصديق الروحي، وجعل قباء شمس تبريز شعاراً لأتباع هذه الطريقة، يرتدونه فيتميزون به عن غيرهم، وكانت مجالس أتباع هذه الطريقة تتسم بذلك الحنين الروحي وتتردد في جوانبها ألحان الناي بما يشيع

فيه من أنين وأشواق .

* وبعد أن أصبح جلال الدين الرومي وحيدا بعد أن غاب صديقه ومعلمه شمس تبريز اعتكف في منزله لا يخرج منه إلا في الملمات ينظم ويصنف ويبحث وينقب، يزوره بعض المخلصين المقربين من طلابه، فكان يجد فيهم بعض السلوى عن فقدان معلمه شمس تبريز.

تلميذه وصديقه

* اتخذ جلال الدين الرومي صديقا آخر هو تلميذه «حسن حسام الدين» الذي خلد اسمه في كتابه «المثنوي» حيث نسب إليه الفضل في تشجيعه على القيام بهذا العمل الضخم، كما أنه لزم الرومي خلال نظمه لسنوات، وكان يكتب ما يمليه عليه، ثم يعود فيقرؤه عليه أو ينشده بصوته الجميل.

* وقد أشار مولانا جلال الدين الرومي في مقدمته المنثورة للمثنوي إلى تلميذه وصديقه «حسام الدين» كما ذكره في المقدمات المنظومة لجميع الأجزاء ما عدا الجزء الأول، وامتدحه بأرفع العبارات وأثنى عليه وعلى أسرته.

* ويقال إن جلال الدين الرومي توقف عن نظم المثنوي لمدة

سنتين بسبب حزن تلميذه «حسام الدين» على وفاة زوجته ولم يعد في مقدوره أن يعمل مع معلمه.

* وبلغ حسام الدين من المكانة عند جلال الدين الرومي وأتباع الطريقة المولوية مما خوله أن يُخلف جلال الدين الرومي في رئاستها وظل حسام الدين شيخا للطريقة إلى أن توفي عام 683هـ.

أشهر أقوال
جلال الدين الرومي
من الحكم والمواعظ

أشهر أقوال جلال الدين الرومي
من الحكم والمواعظ

* لا تحزن فأي شيء تفقده سيعود إليك في هيئة أخرى.

* الوداع لا يقع إلا لمن يعشق بعينيه فقط، أما الذي يحب بروحه وقلبه فلا ثمة انفصال أبدا...

* الحب الذي لا يهتم إلا بالجمال الجسدي ليس حباً حقيقياً.

* النار ليس لها دخان عندما تصبح لهباً.

* مهمتك هي عدم السعي وراء الحب، بل أن تسعى وتهد كل الحواجز التي قد بنيت بينك وبينه.

* ترى الكريم لمن يعاشر منصفاً... وترى اللئيم مجانب الإنصاف.

* استمع إلى صوت الناي كيف يبث آلام الحنين، وهو يقول: قد قُطعت من الغاب، وأنا أحن إلى أصلي...

* القلب جوهر، والقول عرض، والقول زائل والقلب هو الغرض...

* النفس من كثرة المديح تتحول إلى فرعون..

* إن الأشياء الخفية تجعل أضدادها مرئية.

* بدون الإيمان بالغيب تغلق على نفسك كوة الدار.

* بغير هذا الحب لا تكن.

* على المرء أن ينفذ إلى قلبه بنور العقل، ويرى واقعه، لا أن يكون عبداً للنقل.

* ما تبحث عنه، يبحث عنك..

* الحب هو العِلة، الحب هو المعلول...

* الحب هو البهجة التي تجرح

* خارج كل هذا الصواب والخطأ يوجد فناء ليس فيه سوى الحب لنلتقي هناك..

* ما لمس الحب شيئاً إلا وجعله مقدساً.

* إن رأيت هذا الرأس ملىء بالسعادة ومتخم بالفرح كل ليلة وكل نهار، اعلم أن أصابع الحب قد لامسته..

* الحب هو الجسر الذي بينك وبين كل شىء.

* من دون الحب... كل الموسيقى ضجيج.. كل الرقص جنون.. كل العبادات عبء..

* الحب لا يمكن أن نتعلمه أو ندرسه... الحب يأتي كنعمة.

* إن الحب هو الذي يحول المر حلوا... والتراب تبراً، والكدر صفاء.. والألم شفاء.. والسجن روضة.. وهو الذي يلين الحديد.. ويذيب الحجر، ويبعث الميت وينفخ فيه الحياة.

* في الحب شيئا من عظمة الله، وأنفاس الشياطين، وعذاب الأنبياء.

* إنهم مشغولون بالدماء.. بالفناء، أما نحن فمشغولون بالبقاء هم يدقون طبول الحرب.. ونحن لا ندق إلا طبول الحب..

* دين الحب منفصل عن كل أشكال الأديان، العاشقون أمة واحدة ودين واحد.. وهذا هو الله...

* إن الحب لا يمكن تفسيره.. فهو يفسر كل شيء..

* أنا أحب الحب... والحب يحبني... فتحت ذراعي للحب.. والحب احتضنني كحبيب..

* اعلم أن كل شجرة، كل وردة تحدثك، وتقول لك، كل ما تزرعه،

تحصده، فلا تزرع سوى الحب...

* ليس لكل أحد أن يكون محبوباً، لأن المحبوب يحتاج إلى صفات وفضائل، لا يرزقها كل إنسان، ولكن لكل أحد أن يأخذ نصيبه في الحب، وينعم به، فإذا فاتك أيها القارئ العزيز أن تكون محبوباً فلا يفتك يا عزيزي أن تكون محباً، إن لم يكن من خطك أن تكون «يوسف» فمن يمنعك من أن تكون «يعقوب»؟ وما الذي يحول بينك وبين أن تكون صادق الحب دائم الحنين...

* أتعرف ما كل هذه الأحزان؟ إنها ليست سوى جدار بين بستانين فلا تبتئس!!

* مَنْ لم يمت بالعشق فهو جيفة.

* قد تجد الحب في كل الأديان.. ولكن الحب لا دين له.

* لا يهدأ قلب العاشق قط ما لم يبادله المحبوب الوله، وحين يشع نور الحب في القلب فذاك يعني أن القلب الآخر بدأ ينبض...

* إلق بنفسك في نهر العشق حتى وإن كان نهرا من الدماء.

* الجاهل أن يبدي الود لك فاحذره، فإنه في النهاية يصيبك بالجراح من جهله.

* وما أساء عديم الأدب إلى نفسه فحسب، لا بل أضرم النار في كل الآفاق..

* إن تطلب اللؤلؤ عليك بالغوص في عمق البحر، فما على الشاطئ غير الزبد...

* سأل سائل ما هو الحب؟ فجاءه الرد: ـ ستعرف عندما تذوب فيه، فالأفلاك التي تدور في سماواتها إنما تحركها أمواج الحب، ولولا الحب لكانت كالجليد تتجمد..

* ألف الدهر بعادي... جرح البُعد فؤادي، فقد النوم وسادي فأرى الشمل تغرق.. وأرى الستر تمزق، وأرى السقف تخرق، وأرى الموج تلاطم.. وأرى البدر تكور، وأرى النجم تكور، وأرى البحر تسحر، .. وأرى الهلك تفاقم، فقد أهداني ربي... وأتى الجد بحبي، ونهض الحب لطي..، وتدارك وتراحم، ونزل العشق بداري، معه كأس عقاري، هو معراك سواري وعلى السطح كسلم، .. بك أحيى وأموت، بك أمسى وأموت، بك في الدهر سكوت.. بك قلبي يتكلم.

* لقد انتقل الحب وهيامه بقوة وذهبا بعيداً، فذدت النار ولم تترك خلفها إلا بعض الرماد..

* سواء سرت مسرعاً.. سواء سرت ببطء.. فإن مَنْ واصل المسير فسوف يصل لمطلوبه...

* لم أحب أصحابي لا بقلبي ولا بعقلي، فمن الممكن أن يسكن القلب، وأن ينسى العقل، أحببت أصحابي بروحي فهي لا تسكن ولا تنسى...

* حين تمر بك نسمة تلامس روحك، ثق إنها دعوة صادقة، من قلب صادق.

* احذر أن يذهب بك العُمر، دون أن تعرف مَنْ هو بداخل روحك، ومَنْ لا يفارقك دائما...

* قبولك لي كإنسان أهم عند الله من سؤالك عن إيماني، فنحن غصون شجرة واحدة تحن إلى أصلها...

* حضورك فقط هو مَنْ ينعش قلبي الذابل...

* ما لم تبك الغيمة... من أين للبستان أن يبتسم؟!

* خذني مني إليك ربي.. واهدني رغما عني...

* إن أردت المسير في وادي الأزهار، انزع الأشواك من قلبك...

* ويسألونك أين تجد الجمال؟.. قل لهم في الوجوه التي تستحي من الله.

* لا يزال المرء أميا حتى يقرأ ذاته، ولن يقرأ ذاته حتى يُقال لقلبه اقرأ..

* عندما تعرف روحك روحي معرفة تامة فإن كلا الروحين تذكر أنهما كانا روحاً واحداً في الماضي..

* العشق هو ترك الاختيار.

* لا تحاول أن تختبئ وراء غضبك، لا يمكن أن تختبئ، لا حل إلا أن تكون لله عبداً.

* لا تجزع من جرحك، وإلا فكيف للنور أن يتسلل إلى باطنك.

* كم هم سعداء أولئك الذين يتخلصون من الأغلال التي ترسخ بها حياتهم.

* العاشق لا يعرف اليأس أبداً، وللقلب المغرم كل الأشياء ممكنة.

* بالأمس كنت ذكيا فأردت أن أُغير العالم..، واليوم أنا حكيم ولذلك سأغير نفسي..

* اظهر كما أنت، وكن كما تظهر..

* الجميل يجذب الجميل.. وإن شئت فاقرأ ... الطيبات للطيبين.

* الشريعة التي لا تمنح الإنسان شيئاً فهي غير حقيقية.

* ارتق بمستوى حديثك لا بمستوى صوتك، إنه المطر الذي ينمي الأزهار وليس الرعد.

* دين العشق لا مذهب له...

* وضع الله أمامنا سُلماً علينا أن نتسلقه درجة إثر درجة ولديك قدمان فلم التظاهر بالعرج..

* انظر إلى وجه كل إنسان، وكن منتبها، فلعلك تغدو من التأمل عارفاً بالوجوه.

* ولما كان كثير من الأبالسة يظهرون في صورة الإنسان، فليس يليق بالمرء أن يمد يده لكل يد، ذلك لأن الصياد يصطنع الصغير لكي يوقع الطائر في حبائله..

* قلت أشتهي وصلك.. قال: تمن الوصال ما هو إلا روحك.. فهتف قلبي: ربح البيع إذن.

* إلى أن يحين الوصال.. فإن الشوق لا ينتهى..

«الفصل الثاني»

ابن الرومي
وقواعد العشق الأربعون

قواعد العشق الأربعون

* قواعد العشق الأربعون رواية للكاتبة التركية «إليف شفق» كتبتها باللغة الإنجليزية عام 2009م وتقع في 500 صفحة تسرد الكاتبة فيها حكايتين متوازيتين إحداهما في الزمن المعاصر والأخرى في القرن الثالث عشر حين التقى جلال الدين الرومي مع مرشده الروحي «شمس التبريزي» وكيف أنهما معا جسدا رسالة شعر الحب الخالد، وقد صدرت الرواية في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2010م وبيع منها أكثر من 550,000 ألف نسخة لتحقق أعلى المبيعات في تركيا بعد ترجمتها...

* كاتبة الرواية «إليف شفق» تكتب باللغتين التركية والإنجليزية وقد ترجمت أعمالها إلى ما يزيد على ثلاثين لغة.

* تحكي الرواية في لوحات متعددة لشخصيات من زمنين مختلفين الأول من خلال شخصيته «إيلا» وعائلتها الذين يعيشون في ولاية ماساشوستس الأمريكية في زمن كتابة الرواية عام 2008م

والثاني في القرن الثالث عشر الميلادي حين يلتقي جلال الدين الرومي بتوأمه الروحي شمس التبريزي ويبدأ الكتاب بكلمة لشمس التبريزي يقول فيها: ـ عندما كنت طفلاً رأيت الله، ورأيت الملائكة، رأيت أسرار العالمين العلوي والسفلي، ظننت أن جميع الرجال رأوا ما رأيته لكنني سرعان ما أدركت أنهم لم يروا..

* وتؤكد المؤلفة في روايتها أن القرن الحادي والعشرون لا يختلف كثيرا عن القرن الثالث عشر الميلادي لأن هذين القرنين كانا عصر صراعات دينية إلى حد لم يسبق له مثيل، عصر سار فيه سوء التفاهم الثقافي والشعور العام بعدم الأمان والخوف من الآخر، وفي أوقات كهذه تكون الحاجة إلى الحب أشد من أي وقت مضى..

ولما كان العشق جوهر الحياة وهدفها الأساسي السامي كما يذكرنا الرومي لأنه يقرع أبواب الجميع بمن فيهم الذين يتحاشون الحب..

* وتدور رواية قواعد العشق الأربعون في خطين زمنيين متوازيين، الخط الزمني الأول يمثل الأحداث التي تمر بها «إيلا» وهي سيدة أمريكية على مشارف الأربعين من عمرها وتعيش حياة رتيبة عادية مع أبنائها وزوجها «ديفيد» طبيب الأسنان الناجح، أما الخط الزمني

الثاني فيقع في القرن الثالث عشر الميلادي ويحكي قصة اللقاء العجيب بين الصوفي الفقيه جلال الدين الرومي، والصوفي القطب شمس الدين التبريزي وما تلا ذلك من أحداث عاصفة انتهت بمقتل «التبريزي»، وتحول جلال الدين الرومي إلى أهم شاعر صوفي في تاريخ الإسلام ثم يتقاطع الزمانان الحالي والماضي فأحوال شمس الدين التبريزي، وجلال الدين الرومي قد غيرت حياة «إيلا» إلى الأبد، فتحولت من مجرد امرأة عادية راكدة إلى عاشقة مجنونة تضحي بكل شيء في سبيل الحب.

* وتحكي الرواية كيف التقى الصوفي المتبحر «شمس الدين التبريزي» ورجل الدين ورث المجد «جلال الدين الرومي» عام 1244م في مدينة قونية من بلاد الأناضول حيث يظهر الأستاذ عندما يكون التلميذ مستعدا كي يبث في روحه الذي يحتاجه من رؤية جديدة للأشياء ومن تفسير لمختلف الحكايات..

* تتحرك الرواية عبر ثلاث روايات مرة واحدة وفي زمنين مختلفين تفصلهما ثمانية قرون تقريباً، تحكي عن شمس الدين التبريزي مؤسس «قواعد العشق الأربعون» والذي استطاع أن يغير شخصية صوفية فذة كجلال الدين الرومي ليصبح شاعراً فمولانا جلال الدين

الرومي الفقيه الخطيب المفوه الذي استحوذ على مشاعر الناس في القرن الثالث عشر، قرن الصراعات الدينية والطائفية، تحول بفعل هذا الصوفي إلى داعية عشق لا نظير له، فخرج من قفطانه الديني إلى لباسه العادي وهو يدعو إلى وحدة الأديان وتفضيل العشق الإلهي على غيره من متع الحياة.

* يقول شمس الدين التبريزي عن صاحبه جلال الدين الرومي الرومي على حق، فهو ليس من الشرق ولا من الغرب، إنه ينتمي إلى مملكة الحب، إنه ينتمي إلى المحبوب.

* وتؤكد الروائية إنه في واقع الحال لم تكن هناك نهاية للرواية فبعد مضي زهاء ثمانمائة سنة لا تزال روح الرومي وشمس التبريزي تنبضان بالحياة حتى يومنا هذا وتدوران في وسطنا في مكان ما...

وبإيجاز يمكن رصد قواعد العشق الأربعون فيما يلي: -

القاعدة الأولى:.

إن الطريقة التي نرى فيها الله ما هي إلا الانعكاس للطريقة التي نرى فيها أنفسنا، فإذا لم يكن الله يجلب إلى عقولنا سوى الخوف والملامة فهذا يعني أن قدراً كبيرا من الخوف والملامة يتدفق في نفوسنا، أما إذا رأينا الله مفعماً بالمحبة والرحمة فإننا نكون كذلك.

القاعدة الثانية:.

إن الطريق إلى الحقيقة يمر من القلب لا من الرأس، فاجعل قلبك لا عقلك دليلك الرئيسي، واجه، تحدى، وتغلب في نهاية المطاف على النفس بقلبك، إن معرفتك بنفسك ستقودك إلى معرفة الله.

القاعدة الثالثة:.

إن كل قارئ للقرآن الكريم يفهمه بمستوى مُختلف بحسب عمق فهمه، وهناك أربعة مستويات من البصيرة، يتمثل المستوى الأول في المعنى الخارجي وهو المعنى الذي يقتنع به معظم الناس، ثم يأتي المستوى الباطني، وفي المستوى الثالث يأتي باطن الباطن أما المستوى الرابع فهو العمق ولا يمكن الإعراب عنه بالكلمات، لذلك يتعوز وصفه.

القاعدة الرابعة:.

يمكنك أن تعرف الله من خلال كل شيء، وكل شخص في هذا الكون، لأن وجود الله لا ينحصر في المسجد أو في الكنيسة أو في الكنيس، إذا كنت لا تزال تريد أن تعرف أين يقع عرشه بالتحديد، يوجد مكان واحد فقط تستطيع أن تبحث فيه عنه، وهو قلب عاشق حقيقي، فلم يعشق أحد بعد رؤيته، ولم يمت أحد بعد رؤيته، فمن يجده يبقى معه إلى الأبد..

القاعدة الخامسة:.

يتكون الفكر والحب من مواد مختلفة، الفكر يربط البشر في عقد، لكن الحب يذيب جميع العقد، إن الفكر حذر دوماً وهو يقول ناصحاً «احذر الكثير من النشوة» بينما يقول الحب «لا تكترث أقدم على هذه المجازفة» وفي حين أن الفكر لا يمكن أن يتلاشى بسهولة، فإن الحب يتهدم بسهولة، ويصبح ركاماً من تلقاء نفسه، لكن الكنوز تتوارى بين الأنقاض والقلب الكسير يخبئ كنوزاً.

القاعدة السادسة:.

تنبع معظم مشاكل العالم من أخطاء لغوية وسوء فهم بسيط، لا نأخذ الكلمات بمعناها الظاهري مطلقا، وعندما تلج دائرة الحب، تكون اللغة التي نعرفها قد عفى عليها الزمن، فالشيء الذي لا يمكن التعبير عنه بكلمات لا يمكن إدراكه إلا بالصمت..

القاعدة السابعة:.

الوحدة والخلوة شيئان مختلفان، فعندما تكون وحيداً من السهل أن تخدع نفسك ويخيل إليك أنك تسير على الطريق القويم، أما الخلوة فهي أفضل لنا لأنها تعني أن تكون وحدك من دون أن تشعر بأنك وحيد، لكن في نهاية الأمر، من الأفضل لك أن تبحث عن

شخص، شخص يكون بمثابة مرآة لك، تذكر إنك لا تستطيع أن ترى نفسك حقاً، إلا في قلب شخص آخر، وبوجود الله في داخلك.

القاعدة الثامنة:.

مهما حدث في حياتك، ومهما بدت الأشياء مزعجة، فلا تدخل ربوع اليأس، وحتى لو ظلت جميع الأبواب موصدة، فإن الله سيفتح دربا جديدا على ما يرام، فالصوفي لا يحمد الله على ما منحه إياه فحسب، بل يحمده أيضا على كل ما حرمه منه.

القاعدة التاسعة:.

لا يعني الصبر أن تتحمل المصاعب سلباً، بل يعني أن تكون بعيد النظر بحيث تثق بالنتيجة النهائية التي ستتمخض عن أي عملية، ماذا يعني الصبر؟، إنه يعني أن تنظر إلى الشوكة وترى الوردة، أن تنظر إلى الليل وترى الفجر، أما نفاد الصبر فيعني أن تكون قصير النظر، ولا تتمكن من رؤية النتيجة إن عشاق الله لا ينفد صبرهم مطلقا، لأنهم يعرفون إنه لكي يصبح الهلال بدراً فهو يحتاج إلى وقت..

القاعدة العاشرة:.

لا يوجد فرق كبير بين الشرق والغرب، والجنوب والشمال، فمهما

كانت وجهتك يجب أن تجعل الرحلة التي تقوم بها رحلة في داخلك، فإذا سافرت في داخلك فسيكون بإمكانك اجتياز العالم الشاسع وما وراءه.

القاعدة الحادية عشر:.

عندما تجد القابلة «الداية» أن الحُبلى لا تتألم أثناء المخاض، فإنها تعرف أن الطريق ليس سالكا لوليدها، فلن تضع وليدها إذا، ولكي تولد نفس جديدة يجب أن يكون هناك ألم، وكما يحتاج الصلصال إلى حرارة عالية ليشتد، كذلك الحب لا يكتمل إلا بالألم.

القاعدة الثانية عشر:.

إن السعي وراء الحب يغيرنا، فما من أحد يسعى وراء الحب إلا وينضج أثناء رحلته، فما أن تبدأ رحلة البحث عن الحب، حتى تبدأ تتغير من الداخل والخارج.

القاعدة الثالثة عشر:.

يوجد معلمون وأساتذة مزيفون في هذا العالم أكثر عدداً من النجوم في الكون المرئي، فلا تخلط بين الأشخاص الأنانيين الذين يعملون بدافع السلطة وبين المعلمين الحقيقيين، فالمعلم الروحي

الصادق لا يوجه انتباهك إليه، ولا يتوقع طاعة مطلقة أو إعجابا تاما منك، بل يساعدك على أن تقدر نفسك الداخلية وتحترمها، إن المعلمون الحقيقيين شفافون كالبلور، يعبر نور الله من خلالهم، لا تحاول أن تقاوم التغييرات التي تعترض سبيلك، بل دع الحياة تعيش فيك، ولا تقلق إذا قلبت حياتك رأساً على عقب، فكيف يمكنك أن تعرف أن الجانب الذي اعتدت عليه أفضل من الجانب الذي سيأتي؟

القاعدة الرابعة عشر:.

إن الله منهمك في المال صنعك، من الخارج ومن الداخل، إنه منهمك بك تماماً، فكل إنسان هو عمل متواصل يتحرك ببطء لكن بثبات نحو الكمال، فكل واحد منا هو عبارة عن عمل فني غير مكتمل يسعى جاهداً للاكتمال، إن الله يتعامل مع كل واحد منا على حدة، لأن البشرية لوحة جميلة رسمها خطاط ماهر، تتساوى فيها جميع النقاط من حيث الأهمية لإكمال الصورة، من السهل أن تحب إلها يتصف بالكمال، والنقاء، والعصمة، لكن الأصعب من ذلك أن تحب إخوانك البشر بكل نقائصهم وعيوبهم، تذكر أن المرء لا يعرف إلا ما هو قادر على أن يُحب، فلا حكمة من دون حب، وما لم نتعلم كيف نحب خلق الله، فلن نستطيع أن نحب حقاً ولن نعرف الله حقاً...

القاعدة الخامسة عشر:.

إن القذارة الحقيقية تقع في الداخل، أما القذارة الأخرى فتزول بغسلها، ويوجد نوع واحد من القذارة لا يمكن تطهيرها بالماء النقي، وهو لوثة الكراهية والتعصب التي تلوث الروح، نستطيع أن نطهر أجسامنا بالزهد والصيام، لكن الحب وحده هو الذي يطهر قلوبنا.

القاعدة السادسة عشر:.

إن كل إنسان عبارة عن كتاب مفتوح، وكل واحد منا قرآن متنقل، إن البحث عن الله متأصل في قلوب الجميع، سواء أكان وليا أم قديساً أم مومساً، فالحب يقبع في داخل كل منا منذ اللحظة التي نولد فيها، وينتظر الفرصة التي يظهر فيها منذ تلك اللحظة، ويقبح الكون داخل كل إنسان، كل شيء تراه حولك بما في ذلك الأشياء التي لا تحبها، حتى الأشخاص الذين تحتقرهم أو تمقتهم يقبعون في داخلك، بدرجات متفاوتة، لا تبحث عن الشيطان خارج نفسك، فالشيطان ليس قوة خارقة تهاجمك من الخارج، بل هو صوت عادي ينبعث من داخلك، فإذا تعرفت على نفسك تماماً وواجهت بصدق وقسوة جانبيك المظلم والمشرق، عندها تبلغ أرقى أشكال الوعي وعندما تعرف نفسك فإنك ستعرف الله.

القاعدة السابعة عشر:.

إذا أراد المرء أن يغير الطريقة التي يعامله بها الناس، فيجب أن يغير أولاً الطريقة التي يعامل فيها نفسه، وإذا لم يتعلم المرء كيف يحب نفسه حبا كاملاً صادقاً، فلا توجد وسيلة يمكنه بها أن يحب، لكنه عندما يبلغ تلك المرحلة سيشكر كل شوكة يلقيها عليه الآخرون، فهذا يدل على أن الورود ستنهمر عليه قريباً.

القاعدة الثامنة عشر:.

إن الماضي دوامة، إذا تركته يسيطر على لحظتك الحالية فإنه سيمتصك ويجرفك، ما الزمن إلا وهم فحسب، وكل ما تحتاج إليه هو أن تعيش هذه اللحظة بالذات، هذا كل ما يهم.

القاعدة التاسعة عشر:.

لا تهتم إلى أين سيقودك الطريق، بل ركز على الخطوة الأولى، فهي أصعب خطوة، يجب أن تتحمل مسؤوليتها، وما أن تتخذ تلك الخطوة، دع كل شيء يجري بشكل طبيعي، وسيأتي ما تبقى من تلقاء نفسه، لا تسر مع التيار، بل كن أنت التيار...

القاعدة العشرون:.

لقد خُلقنا جميعا على صورة الله، ومع ذلك فإننا جميعاً مخلوقات

مختلفة ومميزة، لا يوجد شخصان متشابهان، ولا يخفق قلبان لهما الإيقاع ذاته، ولو أراد الله أن نكون متشابهين، لخلقنا متشابهين، لذلك فإن عدم احترام الاختلافات وفرض أفكارك على الآخرين يعني عدم احترام النظام المقدس الذي أرساه الله.

القاعدة الحادية والعشرون:.

لا يصبح المرء مؤمنا بين ليلة وضحاها، إذا يخيل للمرء إنه مؤمن، ثم يحدث شيء في حياته فيصبح ملحداً، ثم يعود ويؤمن ثانية، ثم يصبح متشككا وهكذا دواليك حتى يبلغ مرحلة معينة، إننا نتردد باستمرار، هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعلنا نمضي إلى الأمام، ومع كل خطوة جديدة تزداد قربا من الحقيقة..

القاعدة الثانية والعشرون:.

عندما يدخل عاشق حقيقي لله إلى حانة، فإنها تصبح غرفة صلاته، لكن عندما يدخل شارب الخمر إلى الغرفة نفسها، فإنها تصبح خمارته، ففي كل شيء نفعله قلوبنا هي المهمة، لا مظاهرنا الخارجية.

القاعدة الثالثة والعشرون:.

ما الحياة إلا دين مؤقت، وما هذا العالم إلا تقليد هزيل للحقيقة،

والأطفال فقط هم الذين يخلطون بين اللعبة والشيء الحقيقي، ومع ذلك فإما أن يفتتن البشر باللعبة أو يكسروها بازدراء ويرموها جانباً، في هذه الحياة تحاشى التطرف بجميع أنواعه لأنه سيحطم اتزانك الداخلي.

القاعدة الرابعة والعشرون:.

يتبوأ الإنسان مكانة فريدة بين خلق الله، إذ يقول «ونفخت فيه من روحي»، لقد خلقنا جميعا دون استثناء لكى نكون خلفاء الله على الأرض، تسأل نفسك، كم مرة تصرفت كخليفة له، هذا إن فعلت ذلك؟، تذكر أنه يقع على عاتق كل منا اكتشاف الروح الإلهية في داخله حتى يعيش وفقها.

القاعدة الخامسة والعشرون:.

إن جهنم تقبع هنا والآن، وكذلك الجنة، توقفوا عن التفكير بجهنم بخوف أو الحلم بالجنة، لأنهما موجودتان في هذه اللحظة بالذات، ففي كل مرة نحب أن نصعد إلى السماء، وفي كل مرة نكره أو نحسد أو نحارب أحداً، فإننا نسقط مباشرة في نار جهنم، هل يوجد جحيم أسوأ من العذاب الذي يعانيه الإنسان عندما يعرف في أعماق ضميره أنه اقترف ذنبا جسيماً؟، هل توجد جنة أفضل من النعمة التي تهبط على

الإنسان في تلك اللحظات النادرة من الحياة عندما تفتح فيها مزاليج الكون ويشعر أنه امتلك كل أسرار الخلود، واتحد مع الله اتحاداً كاملاً؟.

القاعدة السادسة والعشرون:.

يرتبط كل شيء، وكل شخص بشبكة خفية من القصص، سواء أدركنا ذلك أم لم ندركه، فإننا نشارك جميعاً في حديث صامت، لا ضرر ولا ضرار وكن رحيما ولا تكن نماماً حتى لو كانت كلماتك بريئة، لأن الكلمات التي تنبعث من أفواهنا لا تتلاشى بل تظل في الفضاء اللانهائي إلى ما لا نهاية وستعود إلينا في الوقت المناسب، إن معاناة إنسان واحد تؤذينا جميعا، وبهجة إنسان واحد تجعلنا جميعاً نبتسم.

القاعدة السابعة والعشرون:.

يشبه هذا العالم جبلاً مكسوراً بالثلج يردد صدى صوتك، فكل ما تقوله سواء كان جيداً أم سيئاً سيعود إليك على نحو ما، لذلك إذا كان هناك شخص يتحدث بالسوء عنك، فإن التحدث بالسوء بالطريقة نفسها يزيد الأمور سوءاً، وستجد نفسك حبيس حلقة مفرغة من طاقة حقودة، انطلق وفكر طوال أربعين يوماً وليلة بأشياء لطيفة عن ذلك الشخص، إن كل شيء سيصبح مختلفاً في النهاية، لأنك ستصبح مختلفاً في داخلك.

القاعدة الثامنة والعشرون:.

إن الماضي تفسير، والمستقبل وهم، إن العالم لا يتحرك عبر الزمن، وكأنه خط مستقيم، يمضي من الماضي إلى المستقبل، بل إن الزمن يتحرك من خلالنا وفي داخلنا، في لوالب لا نهاية لها، إن السرمدية لا تعني الزمن المطلق بل تعني الخلود.

القاعدة التاسعة والعشرون:.

لا يعني القدر أن حالك محددة بقدر محتوم، لذلك فإن ترك كل شيء للقدر وعدم المشاركة في عزف موسيقى الكون دليل على جهل مطلق، إن موسيقى الكون تعم كل مكان، وتتألف من أربعين مستوى مختلفاً، إن قدرك هو المستوى الذي تعرف فيه لحنك، فقد لا تتغير آلتك الموسيقية بل تبدل الدرجة التي تجد فيها العزف..

القاعدة الثلاثون:.

إن الصوفي الحق هو الذي يتحمل بصبر حتى لو اتُهم باطلاً، وتعرض للهجوم من جميع الجهات، ولا يوجه كلمة نابية إلى منتقديه، فهو لا ينحي باللائمة على أحد، فكيف يمكن أن يوجد خصوم أو منافسون أو حتى آخرون في حين أنه لا توجد نفس المقام الأول؟

وكيف يمكن أن يوجد أحد يلومه في الوقت الذي لا يوجد فيه إلا واحد؟

القاعدة الحادية والثلاثون:.

إذا أردت أن تقوى إيمانك فيجب أن تكون لينا في داخلك، لأنه لكي يشتد إيمانك ويصبح صلبا كالصخرة يجب أن يكون قلبك خفيفاً كالريشة، فإذا أصبنا بمرض أو وقعت لنا حادثة أو تعرضنا لخسارة أو أصابنا خوف بطريقة أو بأخرى، فإننا نواجه جميعاً الحوادث التي تعلمنا كيف نصبح أقل أنانية وأكثر حكمة وأكثر عطفا وأكثر كرماً، إن الوسيلة التي تمكنك من الاقتراب من الحقيقة أكثر تكمن في أن يتسع قلبك لاستيعاب البشرية كلها وأن يظل فيه متسع لمزيد من الحب.

القاعدة الثانية والثلاثون:.

يجب ألا يحول شيء بينك وبين الله، لا أئمة، ولا قساوسة، ولا أحبار، ولا أي وصي آخر على الزعامة الأخلاقية أو الدينية، ولا السادة الروحيون، ولا حتى إيمانك، آمن بقيمك ومبادئك لكي لا تفرضها على الآخرين، وإذا كنت تحطم قلوب الآخرين فمهما كانت العقيدة التي تعتنقها فهي ليست عقيدة جيدة، ابتعد عن عبادة

الأصنام بجميع أنواعها لأنها تشوه رؤيتك، ليكن الله، والله وحده دليلك، تعلم الحقيقة يا صديقي، لكن احرص على ألا تصنع من الحقائق التي تتكون لديك أوثانا...

القاعدة الثالثة والثلاثون:.

على الرغم من أن المرء يجاهد ليحقق شيئا ويصبح شخصاً مهماً، فإنه سيخلف كل شيء بعد موته، إنك تهدف إلى بلوغ المرحلة العليا من العدم، عش هذه الحياة خفيفة وفارغة مثل الرقم صفر، إننا لا نختلف عن أصيص الزرع، فليست الزينة في الخارج، بل الفراغ في داخلنا هو الذي يجعلنا نقف منتصبي القامة، مثل هذا تماماً، فالوعي بالعدم وليس ما نتطلع إلى تحقيقه هو الذي يبقينا نواصل الحياة.

القاعدة الرابعة والثلاثون:.

لا يعني الاستسلام أن يكون المرء ضعيفاً أو سلبياً ولا يؤدي إلى الإيمان بالقضاء والقدر أو الاستسلام، بل على العكس تماماً، إذ تكن القوة الحقيقية في الاستسلام والقوة المنبعثة من الداخل، فالذين يستسلمون للجمهور الإلهي في الحياة ويعيشون بطمأنينة وسلام حتى عندما يتعرض العالم برمته إلى اضطراب تلو الاضطراب..

القاعدة الخامسة والثلاثون:.

في هذا العالم ليست الأشياء المتشابهة أو المنتظمة، بل المتناقضات الصارخة هي ما يجعلنا نتقدم خطوة إلى الأمام، ففي داخل كل منا توجد جميع المتناقضات في الكون، لذلك يجب على المؤمن أن يلتقي بالكافر القابع في داخله، وعلى الشخص الكافر أن يتعرف على المؤمن الصامت في داخله، وإلى أن يصل إلى اليوم الذي يبلغ فيه المرء مرحلة الكمال، مرحلة الإنسان المثالي، فإن الإيمان ليس إلا عملية تدريجية ويستلزم وجود نظيره الكفر.

القاعدة السادسة والثلاثون:.

لقد خلق الله هذا العالم على مبدأ التبادل، فكل امرئ يكافأ على كل ذرة خير يفعلها، ويعاقب على كل ذرة شر يفعلها، لا تخف من المؤامرات أو المكر أو المكائد التي يحكيها الآخرون، وتذكر أنه إذا نصب لك أحدهم شركا فإن الله يكون قد أراد لك ذلك، فهو المخطط الأكبر إذ لا تتحرك ورقة شجرة دون علمه، آمن بذلك ببساطة وبصورة تامة، فكل ما يفعله الله يفعله بشكل جميل.

القاعدة السابعة والثلاثون:.

إن الله دقيق، إنه دقيق إلى حد أن ترتيبه وتنظيمه يجعلان كل

شيء على وجه الأرض يتم في حينه، لا قبل دقيقة ولا بعد دقيقة، والساعة تمشي بدقة بالنسبة للجميع بلا استثناء، فلكل شخص وقت للحب ووقت للموت.

القاعدة الثامنة والثلاثون:.

ليس من المتأخر مطلقاً أن تسأل نفسك، هل أنا مستعد لتغيير الحياة التي أحياها؟ هل أنا مستعد لتغيير نفسي من الداخل؟ وحتى ولو كان قد تبقى من حياتك يوم واحد يشبه اليوم الذي سبقه، ففي كل لحظة ومع كل نفس جديد يجب على المرء أن يتجدد ويتجدد ثانية، ولا توجد إلا وسيلة واحدة حتى يولد المرء في حياة جديدة وهي أن يموت قبل الموت.

القاعدة التاسعة والثلاثون:.

مع أن الأجزاء تتغير، فإن الكل يظل ذاته، لأنه عندما يغادر لص هذا العالم، يولد لص جديد، وعندما يموت شخص شريف، يحل محله شريف آخر، وبهذه الطريقة لا يبقى شيء دون تغيير، بل لا يتغير شيء أبدا أيضاً، إن ديننا هو دين العشق وجميع البشر مرتبطون بسلسلة من القلوب، فإذا انفصلت حلقة منها حلت محلها حلقة أخرى في مكان آخر..

القاعدة الأربعون:.

لا قيمة للحياة من دون عشق، لا تسأل نفسك ما نوع العشق الذي تريده، روحي أم مادي، إلهي أم دنيوي، غربي أم شرقي، فالانقسامات لا تؤدي إلا إلى مزيد من الانقسامات، ليس للعشق تسميات ولا علامات ولا تعاريف، إنه كما هو نقي، وبسيط، العشق ماء الحياة، والعشيق هو روح من نار، أيصبح الكون مختلفاً عندما تعشق النار الماء.

* وهكذا كانت قواعد العشق الأربعون التي وضعها وأسسها جلال الدين الرومي وتوأمه الروحي شمس الدين التبريزي.

الفصل الثالث

أشهر أعمال جلال الدين الرومي الفكرية «المثنوي»

«ديوان المثنوي»

ديوان المثنوي جزء من كتاب المثنوي الذي احتوى على أشعار وقصص وحكايات.

* ويمكن القول إن ديوان المثنوي هو جزء من تلك المنظومة المعرفية والتي تجسدت بواسطة اللغة الشعرية..، وقد قام جلال الدين الرومي بنظم المثنوي بناء على طلب مريده «حسن حسام الدين» ليكون للمريدين مرشداً، ودليلاً على غرار حديقة الحقيقة للسنائي، وكانت الأبيات الثمانية عشر الأولى قد كتبها جلال الدين الرومي بخط يده ثم راح يملي أبيات المثنوي على مريده حسن حسام الدين.

* يبدأ جلال الدين الرومي ديوان المثنوي بمقدمة يذكر فيها صفات ديوانه ثم يتحدث عن محتوياته، ثم يذكر حسن حسام الدين بالكثير من الحب، ويمدحه مدحاً يظن المرء لأول وهلة أنه مبالغ فيها.

* إن مَنْ يمعن التفكير في وصف المثنوي بكلمات وتعابير قرآنية يظن أنه يصف القرآن الكريم نفسه ولكن من طرف خفي يشير إلى أن المثنوي هو كشف وشرح كيفية الوصول إلى المعرفة العرفانية مهتديا بالقرآن الكريم، وهو بهذه الصفات القرآنية يرمز إلى مجموعة القضايا المعرفية المؤلفة له ولأن الرمز هو أسلوب من أساليبه التي يقدم من خلالها أفكاره، ولأن الفكرة المؤلفة للمثنوي عميقة ولا يمكن الإحاطة بها لذا فقد فضل جلال الدين الرومي الإشارة على تطويل العبارة لذلك يقول «اقتصارنا على القليل يدل على الكثير، والجرعة تدل على الغدير، والحفنة تدل على البيدر الكبير» وفي القسم الثاني من المقدمة يتحدث عن محتوى المثنوي والكيفية التي قدم بها هذا المحتوى فيقول «لقد اجتهدت في تطويل المثنوي المشتمل على الغرائب والنوادر وغرر المقالات، ودرر الدلالات، وطريقة الزهاد، وحديقة العباد، قصيرة المباني، كثيرة المعاني، ثم يختم المقدمة بالحديث عن حسام الدين الذي كان السبب في نظم المثنوي، وقد وصفه بما يتناسب مع حبه وامتنانه وعرفانه له.

* أما تعريف المثنوي بأنه المزدوج المنظوم على بحر الرمل فهو تعريف يطال الشكل فقط ويغفل المضمون، ولكن البناء المنطقي

لمنظومة جلال الدين الرومي المعرفية تمكننا من القول بأن المثنوي هو مجموعة من الروابط الثنائية بين الإنسان ونفسه، الإنسان والمحيط، الإنسان والكون، الإنسان والخالق، تخرج منها إلى علاقات انسجام وتناغم ضمن أسلوب تصويري رائع، واستخدام دلالة اللغة متنقلا منها إلى تجريد الفكرة.

وقد يظن البعض أن أسلوب الاستطراد في المثنوي لا ترابط بين أفكاره والحقيقة أن الترابط موجود في عملية التجريد التي هي جزء من منظومة المثنوي، ومن هنا يتبين لنا أن بعض المستشرقين ينسبون هذا الترابط إلى الإيقاع وإلى الروحانية، مما يدلل على رؤيتهم السطحية للمثنوي.

* ويوضح جلال الدين الرومي حقيقتين هامتين عن المثنوي الأولى تتعلق بشكل الحكايات ومعناها فيقول «سيدرك المريد أن الحكايات مثل الكيال والمعنى الحب الذي يحتوى فالعاقل يأخذ حب المعنى ولا يتوقف عند المكيال، يريد من قوله هذا أنه يقدم المعنى في قالب حكائي والهدف الحقيقي هو المعنى وليس الحكاية، أما الثانية فيُعني بالهدف الذي نظم لأجله المثنوي، يقول «لم أنظم لك المثنوي لتحفظه أو تعيده، كل ما فيه ينبغي أو يُرى بذلك المنظور

وإن كان الصوفية يستخدمون التمثيلات والصور فذلك لمساعدة الإنسان ذي القلب الهائم والعقل الضعيف على إدراك الحقيقة.

فالهدف من المثنوي ليس حفظه وترديده بل هو وسيلة المريد لإعمال العقل والانطلاق إلى عالم المعرفة، فالهدف من نظمه هو بناء الإنسان بناء عقليا ووجدانيا لا تجميد تفكيره وسجنه بين السطور واستخدام التمثيلات والصور ليس غاية بحد ذاته بل الهدف هو تقريب الفكرة من ذهن التلقي وتحريض عقله على تطويرها.

* هذا هو مولانا جلال الدين الرومي وهذه مثنوية الذي شغل به الشرق والغرب وألف على غرارة الكثير من المثنويات كما أُلف كثير من الدراسات حوله، وتُرجم إلى معظم لغات العالم، لقد حظى المؤلف، والمؤلَّف بالاهتمام الكبير لأنه إنساني النزعة فلسفي النظرة منطقي الفكرة عميق في وجدانيته.

أشهر القصص
التي قدمها جلال الدين الرومي
في كتابه الضخم «المثنوي»

أولاً : قصة البقال والببغاء

كان في سالف الزمن بقال، وكان له ببغاء حسن الصوت أخضر اللون فصيح.

كان على الدكان يقف حارساً له، ويحدث التجار جميعاً بلطيف المقال.

فقد كان ناطقاً في خطاب الآدميين، كما كان حاذقاً في غناء الببغاوات.

وذات يوم قفز من ناحية الدكان إلى ناحية أخرى، فأراق زجاجات زيت الورد.

وجاء صاحبه من ناحية المنزل، وجلس على الدكان فارغ البال، كأنه من السادة.

فرأى الدكان قد غمره الزيت، وثيابه لزجة، فضرب الببغاء على رأسه، فصار أقرع من الضرب.

وامتنع الببغاء عن الكلام بضعة أيام، فأصبح الرجل البقال يتأوه من الندم.

فكان يقلع شعر لحيته، ويقول: واأسفاه! إن شمس نعمتي أصبحت تحت السحاب.

ليت يدي كانت قد كسرت في تلك اللحظة. كيف ضربت هذا الحلو اللسان على رأسه؟

وجعل يعطي الهدايا لكل درويش، لعله يسترد نطق طائره.

وبعد ثلاثة أيام من الحيرة والألم، كان يجلس على الدكان، كأنه يائس.

وكان يظهر للطائر كل لون من العجائب، لعله يبدأ النطق من جديد.

وفي تلك اللحظة، كان درويش عاري الرأس يمر أمامه، وكان رأسه خالياً من الشعر كأنه ظهر طاس أو طشت .

فنطق الببغاء في ذلك الوقت، وصاح بالدرويش: يا فلان!

لماذا اختلطت أيها الأقرع بغيرك من القرع؟ لعلك أرقت الزيت من الزجاجة!

فأضحك قياسه الخلق، إذ ظن نفسه مثل صاحب الدلق.

فلا تتخذ من نفسك مقياساً لأحوال الطاهرين، مهما تشابهت في الكتابة كلمة شير «بمعنى أسد»، وشير «بمعنى لبن».

ولهذا السبب ضلت جملة أهل العالم، فقليل من الناس من يعرف أبدال الحق.

فقد رفعوا أنفسهم إلى مستوى الأنبياء، وظنوا أنفسهم مثل الأولياء.

وقالوا: انظروا! إننا بشر وهم بشر، ونحن وإياهم أسارى للنوم والطعام.

ومن عماهم لم يدركوا أن هناك فرقاً لا نهاية له بينهم وبين هؤلاء.

فالنحل كلها تأكل من مكان واحد، ولكن يجيء من بعضها الإبر، ومن بعضها الآخر يأتي العسل.

والغزلان نوعان، كلاهما يأكل العشب ويشرب الماء، ولكن أحدهما يجيء منه البعر، ومن الآخر يأتي المسك الصافي.

ومن القصب صنفان يشربان من ماء واحد، ولكن أحدهما خال، والآخر حافل بالسكر.

فتأمل مائة ألف من أمثال هذه الأشباه، وانظر كيف يفصل بينها طريق طوله سبعون عاماً.

فهذا يأكل فتنطلق منه القذارة، وذاك يأكل فيصبح كله نوراً إلهياً!

وهذا يأكل فيتولد منه البخل والحسد، وذاك يأكل فيفيض منه عشق الأحد.

وهذه أرض طيبة، وتلك ملحة رديئة، وهذا ملك طاهر، وذاك شيطان ووحش ضار.

فلو تشابهت الصورتان فذاك جائز، فالماء الملح والماء العذب شبيهان في الصفاء.

وليس يدري الفرق بينهما سوى صاحب ذوق، فأدركه، فهو الذي يعرف الماء العذب من الماء المالح.

فمن الناس من قاس السحر بالمعجزة، وهو يظن أن كليهما مبني على المكر.

فسحرة عصر موسى، بدافع من الحقد، أمسكوا عصا مثل عصاه.

وبين هذه العصا وتلك العصا فرق واسع! وبين هذا العمل وذاك العمل طريق عظيم!

فهذا العمل تشيعه لعنة الله، وذاك العمل تقابله رحمة الله!

هذه الحكاية الرمزية الحقانية قصد من وراءها النصح والإرشاد إلى عدم الأخذ بالقياس، والعمل بما يقيسه بعض الفقهاء، لأن هؤلاء لا يفرقون بين الماء المالح والماء العذب، فردوا هذه الأمور إلى أهل الحق أصحاب الذوق لأنهم يعرفون ماهية عصا موسى وماهية عصا السحرة!!

ثانياً: قصة الأعرابي وزوجته

لقد خاطبت أعرابية زوجها ذات ليلة وخرجت بالقول عن حدوده.

فقالت:إننا نعاني كل هذا الفقر والشقاء، فجملة العالم سعداء، وأما نحن فأشقياء.

وليس خبزنا خبزاً فطعامنا الألم الحسد. وليس لنا كوز، فماؤنا دمع أعيننا.

ورداؤنا بالنهار حرارة الشمس ، وأما وسادنا ولحافنا في الليل فمن نور القمر .

نظن قرص القمر رغيفاً، فنرفع أيدينا إلى السماء .

وقد أصبح الأقرباء والغرباء يفرون منا، كما فر السامري من الناس.

فلو طلبت من إنسان قبضة من العدس لقال: اسكتي جاءك الطاعون والموت .

إن للعرب فخراً بالغزو والعطاء، وأنت بين العرب مثل الخطأ في الكتابة.

وأي غزو بوسعنا، وقد قتلنا بدون غزو، لقد أذهلت رؤسنا ضربة

سيف العدم.

وأي عطاء نقدمه، ونحن في سؤال دائم، نضرب عرق الذبابة في الهواء لنشرب دمها.

فلو نزل بي ضيف، وطاوعت نفسي، لعمدت إلى سلب دلقه حين ينام.

كيف أمر الأعرابي امرأته بالصبر

فقال لها الزوج: إلى متى تنشدين الدخل والحصاد؟ من الذي بقي من عمرك؟ إن أكثره قد مضى.

إن العاقل لا ينظر إلى الزيادة، ولا إلى النقصان، لأن كليهما يمر كما يمر السيل المندفع.

فسواء أكان السيل صافياً أم كان معتكر الوجه، فلا تتحدثي عنه لحظة واحدة، لأنه لا يدوم.

ففي هذا العالم آلاف من الأحياء يحيون حياة طيبة لا هبوط فيها ولا صعود.

فالفاختة تترنم بشكر الله على الشجرة على حين أن قوت المساء غير مهيأ لها.

والعندليب يحمد الله قائلاً؛ أي مجيب السائلين إن اعتمادنا في الرزق عليك.

والباز قد جعل يد الملك أمله وبشراه، وقطع رجاءه من كل الرمم.

وهكذا لو أخذت الأحياء، من البعوضة إلى الفيل، فإنهم جميعاً عيال الله، والحق نعم المعيل.

لقد كنت شابة، وكنت أكثر قناعة! وقد أصبحت طالبة للذهب وكنت ـ من قبل ذهباً! لقد كنت كرمة عامرة بالثمار فكيف أصبحت كاسدة؟ وكيف غدوت فاسدة وقت نضوج الثمار؟

إنك زوجتي، والزوجة لا بد لها أن تتفق مع الزوج في الصفاء، حتى تجيء الأمور وفق مصلحتها.

فالزوجان يجب أن يكون كل منهما على مثال الآخر. ألا فلتتأملي زوجين من الأحذية أو النعال!

فلو أن واحدا من النعلين ضاق بقدمك، فلا نفع لهذين النعلين عندك.

وهل بين مصراعي الباب واحدا صغير وآخر كبير؟ أم هل رأيت ذئبة اقترنت بأسد الغاب؟

وليس يستقيم فوق ظهر الجمل حقيبتان، إحداهما صغيرة، والأخرى صافية الحجم.

إنني أسير بقلب قوي نحو القناعة، فلماذا تذهبين أنت نحو الشناعة؟

فهذا الرجل القانع، ضلَّ لموفور إخلاصه وتحمسه يحدث امرأته على هذا المنوال، حتى الصباح.

جواب المرأة

فصاحت المرأة بزوجها: أيها المغتر بمذهبه! إنني لن أبتلع خداعك، أكثر من ذلك.

لا تحدثني بترهات من ادعائك ودعواك! اذهب ولا تخاطبني بكبر وغرور!

إلى متى تتحدث حديث الخيلاء والتصنع؟ انظر إلى أمرك وحالك، وكن ذا حياء!

إن الكبر قبيح، ولكنه من الشحاذين أقبح، فكبر الشحاذين كالثوب المبلل، في يوم بارد مثلج.

إلى متى هذا الادعاء والغرور والخيلاء، يا من بيتك مثل بيت العنكبوت.

متى أنرت بالقناعة روحك، وأنت لم تعرف من القناعة سوى اسمها.

لقد قال الرسول: ما القناعة؟ إنها كنز. وأنت لا تعرف الغنم من الغرم.

فلما القناعة إلا كنز الروح. فلا تفاخر بها يا من أنت غم وألم لروحي!

وكيف تسير مع الأمير ومع السيد وأنت تضرب عرق الجرادة في الهواء؟

إنك في صراع مع الكلاب على العظام. بل إنك لفي نواح مثل قصبة خالية الجوف.

فلا تنظر إليَّ باحتقار وازدراء حتى لا أخبرك بما في عروقك.

لقد رأيت عقلك أكبر من عقلي فكيف رأيتني أنا الصغيرة العقل.

فلا تتوثب علي مثل ذئب أحمق، يا من يفوق انعدام العقل عار عقله.

فإن كان عقلك عقالاً للناس، فما هو بعقل بل ثعبان أو عقرب.

فليكن الله خصماً لظلمك ومكرك، ولينقشع عنا مكر عقلك.

إنك أنت الثعبان وأنت الساحر، فواعجبا، إنك ماسك الحية، وأنت الحية، يا عار العرب!

ولو عرف الغراب قبح ذاته لذاب كالثلج من الألم والحزن.

وهكذا أسمعت هذه المرأة زوجها الشاب صحائف من خشن القول.

كيف نصح الرجل امرأته قائلاً: لا تنظري إلى الفقراء باحتقار

فقال الأعرابي: أيتها المرأة! أأنت امرأة أم أنت أم الأحزان! إن الفقر فخري، فلا تضربيني فوق رأسي.

إن المال والذهب هما للرأس كالقلنسوة، وليس يلتجئ إلى القلنسوة إلا الأصلع.

وأما من كان ذا شعر جعد كثيف، فهو أسعد حالاً بذهاب قلنسوته.

إن رجل الحق مثل العين، ولهذا فإن انكشاف بصره خير من احتجابه.

إن أمر الزهد يتجاوز مقدار فهمك، فلا تنظري إلى الزهد باحتقار واستهانة.

ذلك لأن الدراويش فوق الملك والمال، ولهم رزق عظيم من لدن رب الجلال.

فهل قولي الفقر فخري من الجزاف والمجاز؟ لا بل إنه آلاف من العز الخفي والاعتزاز!

اختبري الفقر يوما أو يومين، لترى في الفقر غنى مضاعفاً!

اصبري على الفقر، ودعي هذا المال، فإن في الفقر نوراً من ذي الجلال.

لا تنظري بمرارة وشاهدي آلاف الأنفس، وقد أغرقتها القناعة في بحر من العسل.

تأملي آلاف الأنفس التي تقاسي مرارة الحياة، وقد امتزجت كالورد بشراب الورد.

فوا أسفاه إنك لست واسعة الفهم حتى أبين لك بروحي مكنون قلبي.

فهذا الحديث لبن في ثدي الروح، وهو لا يسيل طيبا، بدون رضيع.

ولكن حين يصبح المستمع متعطشاً طالبا فإن الواعظ ينطق حتى ولو كان ميتاً!

فالمستمع لو أصغى بنشاط وشغف لأصبح الأصم الأبكم ناطقا بمائة لسان.

وكل ما صنع جميلاً رائعاً منمقاً فإنما صنع من أجل العين المبصرة.

ومتى كانت الألحان بوزنها الخفيض والعالي من أجل أذن صماء معدومة الحس.

إن الله لم يجعل المسك طيب الأنفاس عبثاً. إنه قد خلقه للإحساس السليم، وليس من أجل الأخشم.

فلو أنني ملأت العالم بدر الحكمة المكنون ولم يكن هذا الدر من نصيبك، فماذا أصنع؟

أيتها المرأة! دعي العراك، واتركي قطع الطريق! وإن لم تري هذا الرأي فاتركيني.

فإما أن تسكتي وإلا سكت أنا، وتركت في هذه اللحظة منزلي وداري.

مراعاة المرأة زوجها واستغفارها إياه مما قالته

فلما رأت المرأة زوجها محتداً ثائراً، أخذت تبكي، والبكاء حيلة النساء.

وقالت: ما توهمت ذلك منك، لقد كان لي فيك أمل آخر.

وجاءته المرأة من طريق إنكار ذاتها، فقالت: إني أنا ترابك، لا سيدتك.

إن جسمي وروحي وكل كياني لك، والحكم والأمر كلاهما رهن إرادتك.

فإن كانت الفاقة قد جعلت قلبي يتخلى عن الصبر، فما ذلك من أجل نفسي، ولكن من أجلك.

لقد كنت الدواء لآلامي، ولهذا لا أريد أن تكون عديم الرزق.

فبروحي وسري، إن هذا لم يكن من أجل نفسي، بل إن هذا النواح والحنين كان من أجلك.

إن ذاتي ـ والله ـ إنما هي من أجل ذاتك، تتمنى في كل لحظة أن تموت قبلك.

وإني لأحثو التراب على الفضة والذهب، حينما تكون هكذا غاضبا، يا سكن روحي! فهل تتبرأ مني إلى هذا الحد، يا من جعلت مكانك روحي وقلبي؟

تذكر أيام كنت جميلة كالصنم، وكنت أنت كعابد الصنم!

لقد نطقت بالكفر آنذا قد رجعت إلى الإيمان، وقد أقبلت بكل

روحي مستسلمة لحكمك.

إنني لم أعرف طبعك الملكي، فانطلقت بجوادي متوقحة أمامك.

أما وقد جعلت لي من عفوك سراجا فقد تبت وخليت العناد.

إني، أضع أمامك السيف والكفن، وأبسط لك عنقي فلتضربه.

لقد ذكرت كلاماً عن الفراق المر، فافعل أي شيء تريد سوى هذا.

وإن فيك لملتمساً لي العذر هو ضميرك، وإنه في غيبتي لشفيع مستمر عندك.

وأخذت تتحدث على هذا النسق بلطف وصراحة وتملكها البكاء أثناء الحديث.

فلما جاوز البكاء والنواح حدهما عند تلك التي كانت فاتنة بدون بكاء، تجلى من تلك الأمطار برق ألقى شرارة بقلب هذا الرجل الوحيد.

فتلك التي كان الرجل عبداً لوجهها الجميل، كيف تكون إذا بدأت تظهر خضوعها؟

تلك التي يرتعد قلبك من كبرها، كيف تصير حين تصبح باكية أمامك؟

تلك التي يدمي دلالها قلبك وروحك، كيف يكون الحال حين تأتيك ضارعة؟

تلك التي تأسرنا بشباك من جورها وجفائها، ماذا يكون عذرنا لو جاءت تلتمس العذر؟

فما دام الله قد خلق المرأة ليسكن إليها الرجل فكيف يستطيع آدم أن ينفصل عن حواء؟

فلو كان الرجل رستم بن زال، أو كان أشجع من حمزة، فإنه رهن أمر امرأته، أسيراً لها.

فالحب على هذا النحو صفة مميزة للإنسان، وأما الحب عند الحيوان فناقص، وذلك لنقص الحيوان.

ولقد قال الرسول: إن النساء يغلبن العقلاء، وأصحاب القلوب.

أما الجهلاء فإنهم يغلبون المرأة، لأن حدة الحيوان قد احتسبت فيهم.

إنهم خالون من الرقة واللطف والوداد، لأن الحيوانية غالبة على طبيعتهم.

فالمحبة والرقة هما صفة الإنسانية وأما الغضب والشهوة فهما صفة الحيوانية.

إن المرأة ليست بمعشوقة، بل هي نور الحق. فكأنما هي خالقة، أو ليست بمخلوقة!

* * *

لقد ندم الرجل على قوله، كما يندم الظالم ساعة الموت على ظلمه.

وقال: كيف أصبحت خصما لروح روحي؟ وكيف أخذت أكيل الركل لرأس روحي؟ لسوف أطيع أمرك في كل ما تأمرين، ولم أنظر فيما قد ينجم عن ذلك من شر أو خير.

وسوف أصبح في وجودك عدماً، فما دمت محباً، فالحب يعمي ويصم.

كيف عينت المرأة لزوجها طريق طلب الرزق، وكيف تقبل ذلك منها

فقالت المرأة: إن شمساً واحدة قد أشرقت فاكتسب النور منها عالم بأسره.

ونائب الرحمن، خليفة الله، به ازدهرت مدينة بغداد، فكأنه الربيع.

فإذا اتصلت بهذا الملك، أصبحت ملكا! وإلا فإلى متى تسعى وراء كل إدبار؟

إن مجالسة السعداء مثل الكيمياء! بل أين هي الكيمياء التي تشبه نظرة إقبالهم.

لقد تلقى أبو بكر نظرة من الرسول، وبالتصديق مرة واحدة أصبح صديقاً!

فقال الزوج: وكيف أصبح مقبولاً عند الملك؟ وكيف أذهب إليه من غير حجة أتذرع بها؟

فلا بد لي من ذريعة أو حيلة. وهل استقامت حرفة قط بدون آلة؟

إنني مثل المجنون الذي سمع من شخص أن ليلى قد ألم بها مرض طفيف.

فقال: أواه: كيف أذهب إليها بدون عذر أتذرع به؟ وإذا تخلفت عن عيادتها، فكيف يكون حالي؟

ليتني كنت طبيباً حاذقاً كنت أمشي نحو ليلى سابقاً

ولو كان للخفاش بصر ووسيلة، لطار بالنهار، وحسن حاله.

فقالت الزوجة: إن ملك الملوك حين ينزل إلى الميدان، يصبح كل عجر آلة ووسيلة! ولدينا ماء مطر بالإبريق، وهو ملكك، ورأس مالك، ووسيلتك. فاحمل هذا الإبريق وانطلق! اتخذه هدية، وأمثل أمام ملك الملوك!

وقل له: إننا لا نمتلك من الأسباب غير هذا. وليس في الصحراء شيء قط أحسن من الماء. فمع أن خزائنه مليئة بالذهب والجوهر، فإنه لا يجد ماء كهذا، فهو نادر الوجود! فانتفشت لحية الأعرابي بريح الغرور. فمن ذا الذي لديه مثل هذه الهدية؟ إنها بحق لائقة بمثل هذا المليك!

ولم تدر الزوجة أن هناك على الطريق نهرا مثل جيحون، حلواً كالسكر. يجري كالبحر في وسط المدينة، وقد حفل بالزوارق وشباك الصيادين.

فقال الأعرابي: نعم، أغلقي فوهة الإبريق وحاذري فإن هذه الهدية ستجلب لنا الربح!

خيطي اللبد حول الإبريق حتى يفطر الملك على هديتنا.

فليس في الآفاق كلها مثل هذا الماء! وليس لماء مثل هذا الصفاء!

ثم حمل الأعرابي الإبريق وانطلق مسافراً، وأخذ يجره في جنح الليل، وأثناء النهار. لقد كان يرتعد خوفا على الإبريق من آفات الدهر، وها هوذا قد جره من الصحراء إلى المدينة. وأما المرأة فقد بسطت سجادة الصلاة ضارعة وجعلت دعاء رب سلم وردها في الصلاة. وكانت تقول: اللهم احفظ ماءنا من الأخساء، واجعل ذلك الجوهر يصل إلى ذلك البحر. فمع أن زوجي ذكي ماكر، فهناك آلاف من الأعداء يتربصون بهذا الجوهر.

بل ماذا يكون الجوهر بالقياس إليه؟ إن هذا ماء الكوثر؟ وقطرة واحدة منه هي أصل الجوهر! فبدعاء المرأة وضراعتها وباهتمام الرجل وتحمله العبء الثقيل، نقل الإبريق إلى دار الخلافة بدون تأخر، وقد سلم من اللصوص، ومن إيذاء الحجارة. وهناك رأى الأعرابي بلاطاً مليئا بالنعم، وقد مد أهل الحاجة فيه شباكهم.

ففي كل لحظة كان يجيء من كل ناحية صاحب حاجة، فإذا به قد وجد لدى هذا الباب الخلعة والعطاء.

لقد كان للكافر وللمؤمن وللقبيح والجميل، وكأنه الشمس والمطر، بل كأنه الفردوس! ورأى قوما ذوي أبهة في حضرة الخليفة، وقوما آخرين وقفوا منتظرين. فالخاصة والعامة من سليمان حتى النملة،

دبت فيهم الحياة كالعالم عند نفخ الصور! فأما أهل الصورة فقد رصعوا بالجواهر، وأما أهل المعنى فقد وجدوا بحر المعنى. وكم من عديم الهمة أصبح ذا همة! وكم من صاحب همة أصبح ذا نعمة!

كيف تقدم نقباء الخليفة وحجابه لإكرام الأعرابي، وتقبل هديته

وحينما وصل الأعرابي من الصحراء النائية إلى باب دار الخلافة، تقدم النقباء نحو الأعرابي، وضمخوا جبينه بفيض من ماء ورد اللطف. وأدركوا حاجته بدون مقال، فقد كان دأبهم العطاء قبل السؤال. ثم قالوا له: يا وجيه العرب! من أي مكان أتيت؟ وكيف أنت بعد الطريق والتعب؟ فقال الأعرابي: إنني وجيه لو أوليتموني وجوهكم! ولست بذي شأن لو نبذتموني وراء ظهوركم!

يا من تلوح في وجوهكم علائم العظمة! يا من رواء مجدكم أبهى من الذهب الجعفري!

يا من نظرة واحدة منكم تعدل نظرات من سواكم! يا من نثار رؤيتكم الدنانير!

يا من أصبحتم جميعاً تنظرون بنور الله! يا من أقبلتم من عند الله بالجود والعطاء لتلقوا بنظراتكم الكيميائية على نحاس أشخاص البشر!

إنني غريب وقد قدمت من الصحراء. لقد أقبلت على أمل في لطف السلطان، من عبير لطفه قد عم الصحاري، فاتخذت منه حبات الرمال أرواحاً!

لقد قدمت إلى هنا على أمل بالدينار، فلما وصلت أصبحت ثملاً بالرؤى!

لقد مضى رجل إلى البستان يلتمس النزهة، فأصبحت نزهته جمال صاحب البستان! وإني قد قصدت هذا الباب ملتمساً العطاء، فلم أكد أخطو إلى الدهليز حتى أصبحت صدراً! وقد جئت بالماء هدية لأنال الخبز، فحملتني رائحة الخبز إلى صدر الجنان. إن الخبز هو الذي أخرج آدم من الجنة، وها هوذا قد سما بي إلى الجنة. لقد برئت كالملك من الماء والخبز، وها أنذا مثل الفلك، أدور بلا غرض حول هذا الباب. وليس في العالم ما يدور بلا غرض، سوى أجسام العاشقين وأرواحهم.

لقد قدم الأعرابي إبريق الماء، وغرس في تلك الحضرة بذور الخدمة. وقال: احملوا إلى السلطان هذه الهدية، وخلصوا سائل الملك من الحاجة! إن الماء حلو، والإبريق أخضر اللون جديد! الماء من المطر الذي تجمع في الحفرة! فضحك النقباء من ذلك، لكنهم تقبلوا الهدية معتزين بها كالروح. وذلك لأن لطف الملك الطيب الحكيم كان قد أثر

في كل أركان الدولة. فطبيعة الملوك تؤثر في رعاياهم! إنها كالسماء الخضراء، تجعل الأرض مخضرة يانعة. وحينما رأى الخليفة الأعرابي، واستمع إلى قصته، ملأ ذلك الإبريق بالذهب حتى فاض منه. فوهب هذا الأعرابي خلاصا من الفاقة، وأعطاه منحاً وخلعا فريدة. وقال: أسلموا هذا الإبريق إلى الأعرابي. وعندما يتجه إلى العودة خذوه إلى دجلة. فلقد جاء بطريق البر، مع أن السفر بطريق الماء يجعل غايته أدنى سبيلاً. فلما جلس الأعرابي في السفينة، وأبصر دجلة، خر ساجداً، وخفض الرأس حياء. وقال؛ ما أعجب لطف هذا الملك الوهاب! وأعجب منه أنه تقبل هذا الماء! فكيف تقبل بحر الجود مني ـ بهذا الإسراع ـ مثل هذا النقد الزائف! فاعلم يا بني أن العالم كله وعاء مليء بالعلم والجمال! وقطرة واحدة من دجلة حسنة، لا يكاد هذا العالم يسعها بين جوانبه. لقد كان كنزاً مخفياً لكنه لغزارته مزق حجب الخفاء وجعل الأرض أكثر إشراقاً من الأفلاك. لقد كان كنزاً مخفياً فجاش فيضه الغزير فجعل الثرى سلطانا يرتدي الأطلس.

طرف من رموز الحكاية

إن إبريق الماء، رمز لعلومنا، واعلم أن الزوج هو العقل، وأن الزوجة هي الحرص والطمع، وهذان مظلمان منكران أما العقل فشمع منير

إن الذي جرى بين الرجل الأعرابي وامرأته، لذو مغزى يبحث عنه قلب المخلص.

لقد جاء عن طريق النقل ما جرى بينهما. فاعلم أن تلك القصة مثال لنفسك وعقلك.

فهذه المرأة وهذا الرجل نفس وعقل وقد حسن وجوبهما، لإظهار الخير من الشر.

إن هذين الواجبي الوجود في هذا العالم الترابي، يتحاربان ويتنازعان طيلة النهار والليل.

إن المرأة تريد حاجة المنزل، يعني الأبهة والخبز والخوان والجاه.

والنفس مثل المرأة تنشد التراب حيناً، وتنشد المجد حيناً آخر، سعياً إلى مآربها.

أما العقل فليس بمدرك لتلك الأفكار، ولا ينطوي دماغه إلا على خوف الله.

إنك حين تطرق باب المعنى يفتح لك، فاضرب بجناح فكرك، لتغدو ملكاً للصقور.

الفصل الرابع

الرباعيات
من أجمل أشعار
جلال الدين الرومي

معظم هذه الرباعيات (والتي تترجم للمرة الأولى في العربية) تضعك في فضاء شاسع حيث تظن أن «وقفتك» هناك، تقلبك بمنظور نسبي، نحو صفاء ولغز مفاجئين. وهي تتطلب قدرًا كبيرًا من الخلاء، فراغًا كي تجول، سماءً فضاءً باطنيًا من الأنات والوجد. أبواب دقيقة تحيلك نحو إقليم شاسع تنفتح عليه:

تضم رباعيات مولانا 1659 رباعية، عدد أبياتها (3318). وقد ترجمت عن كتاب (رباعيات الرومي).

النور الذي تطلعه لم يأت من ميضأة.

لم تنشأ قسماتك مني.

لا تحاول الاختباء بداخل غضب

الجلاء لا يمكن أن يختبئ.

***

النوم هذا ليس له سلطان

ربما الليل أيضًا يكف عن البحث عنا

حين نكون على مثل هذا،

محجوبين، ما عدا في الفجر.

يمتد هذا الليل حتى الأبد،

وكأنه نار في باطن الرفيق تتقد.

اعرف صادقًا أن هذا هو الهناءة.

غافلًا أنه الأسى، وافتقار الجراءة.

***

باكرًا، كي أستعد،

حللت أربطة الساق.

اليوم، طيبك. عرفان

على الريح ينبت.

لا رفيق سوى العشق.

طريق، دون بدء أو نهاية.

يدعو الرفيق هناك:

ما الذي يمهلك حين تكون الحياة محفوفة بالمخاطر!

***

دع العاشق خزيان، أبله،

ذاهلًا. العاقل

سوف يبلى الحوادث وهي تمضي لأسوأ

فدع العاشق في كونه.

لو أن روحا لديك، احتسبها،

أرخ لها أن تعود بكلمة واحدة،

من حيث جئنا. الآن، آلاف من الكلمات،

ونأبى أن ننصرف.

***

لو رغبت الحياة، اهجر ضفافك،

كمثل جدو وضيع يباشر نهر "أماداريو"، بعرض فراسخ، أو كأنعام تزحزح حول الرحى

لتطوق عليا الدنى حين غرة.

حسبت أني حكمت نفسي،

فتأسيت على زمان قد مضى.

آخذًا في اعتباري، شيئًا وحيدًا أعلمه

لست أدري من أنا.

***

قراءة الأسفار تروق لك آخر العمر.

لا تحزن لو رأيت الصغار يستبقونك.

ولا تعجل. هل أنت في رهق تتجهز للنزوح؟

خل يديك للألحان.

تتلكأ بعض الليالي حتى الشفق،

كيما يؤذن القمر للشمس أحيانًا.

فكن مثل قادوس مترع جر دروب الظلام

من بئره، ثم يصعدها إلى النور.

***

امح الليلة ما هو باق.

رقدنا في ليلة سالفة نصيخ إلى قصتك الوحيدة،

إن كنت عاشقا. نرقد من حولك،

مصعوقين كأننا الموتى.

لا حب أفضل من حب بدون حبيب،

ليس أصلح من عمل صالح دون غاية.

لو يمكنك أن تتخلى عن السوء والحذق فيه،

فتلك هي الخدعة الماكرة!

***

يمكن لي أن أنقسم عن أي واحد،

عدا من يحتويني ضمنه.

أي واحد يمكنه أن يهب العطايا.

خص لي أحدًا مانعا.

رمز أجناسنا فلك نوح،

سفينة تستوي على الجودي.

نبتة تطفر عميقًا بمركز تلك المياه.

ليس لها من موقع أو نمط.

***

ما لهذا النهار بشمسين في السماء؟

ليس كمثله نهار،

صوت مهيب يزف إلى الكوكب:

نهاركم، الآن، كينونات مفتونة!

كاس المدامة في يدي، أرتمي،

أشب على قدمي مشدوهًا من جديد، وخبلان،

ثم أحمد في تداع، ليس بعد بهذه المنزلة،

بل هنا، لا أزال، أقف، القوي الرصين.

***

يأتي الرفيق مصفقًا، وهو في آن

جلي وقاتم، دون غايات بلا خشية.

أنا أشبه أنا

واحدنا يشبه الآخر.

الرفيق يهل على جسدي

باحثًا عن مركزه، حين يعجز

أن يجده، يستل نصلًا

نافذًا في أي موقع.

***

ما لهذا الليل دون تخوم يمكنه أن يهبها.

ليس ليلًا بل زفاف،

زوجان في مخدع يخفتان على انسجام بالكلمات ذاتها.

تدلي العتمة سترًا واضحًا نحو ذلك.

ليل مفعم بكلام موجع،

أشر كومني عائق: كل شيء

عليك أن ترتكب بعشق أو بدون.

هذا الليل يفنى، ومن ثَمَّ ما نرتكب بعده.

***

أطوف إلى مرقدك الليلة،

أدور أدور وحتى الصباح

نسيم من هواء يبوح، الآن،

ويعرض رفيقي على مثل طاس جمجمة لغير مسمى.

لا تغفل عن العزق، وبالهيكل اعتز،

فالجسم له دروب باطنية، الحواس الخمس.

تتصدع، والرفيق منكشف.

افلق الرفيق، تحل به كلًا- أحد.

***

واصل التجوال رغم أنه لا مكان لكي تصل.

لا تجرب أن تروم مرامي الأبعاد.

ليس هذا لآدمي. فارحل إلى باطنك،

ولا تمل لطريق الخوف يجريك تمضي عليه.

تبسم الوردة من طول تحديقي،

انشد دوامًا لما تعنيه وردة،

ومن يملك الوردة،

أيا مثل ذلك يضمر.

***

أراك تبرئني.

لا أراك، أحس بالجدران منطقة.

فلا أبتغي للسوي

غيبة مثل هذي.

ما الذي يجعلك حيا بدوني؟

كيف يمكنك الشكاية؟

كيف أنك تدري بذاتك؟

كيف تبصر؟

***

ضال عند من لا يروم العناية،

جسست الألم، رغم أنه محتفى به

من قبل الآخر طالبني بكليتي. ولو أني

الآن، كباطل أمسكته، فالطلب عزيز.

يختبئ عشقي على الدرب حيث يسير لص العشق

فيقبض عليه بأسناني من الشعر

من أنت؟ لص العشق يستخبر؛ بينا كنت

أفتح فمي لأبوح، تفلت إلى البادية.

***

أنعمت فكري فيك ثم رميت

بكاس المدام تجاه الجدار.

الآن ما أنا سكران أو في غاقة،

أثب لأعلى وأدنى، فكلي مخبل.

عيوننا ما تراك،

لكن عذرًا لنا: فالعيون ترى مظهرًا،

لا حقيقة، ولو أن لطيفة هذه المنزلة

ترجى دوامًا.

***

بعد أن تمضي معي ليلًا بطوله،

تسألني كيف أحيا هنا من دون أن توجد.

خزيان، كأن سمكة مسعورة تتنفس

رملًا ظامئًا. باح البكاء عليك: لكنك اخترت.

إن ثلمًا هناك ما بين صوت والوجود،

طريقًا حيث تدفق الأنباء.

ينفتح الثلم في سكينة منضبطة.

بكلام طائف، ينطبق.

***

يختمر النهار. العيون تخضل بغمام.

الشجر يرجفه ريح فيضحك، كأن جلبة أطفال لعوبًا

تقع، بسبب من أمهات تذمرن

وآباء يبسطون يدًا للتلمس.

لقد بحت بكينونتك. أنا هو أنا

أفعالك في رأسي، رأسي هنا في يدي

بشيء يدور للباطن. دون نعت أنا

فلماذا الطواف بشكل الكمال.

***

لم كل هذا الأسى والشحوب؟

لا تنظر علي.

كمثل وجه عاكس نور آخر،

القمر نبع الألم.

أينه من يراك ولا يضحك بصخب،

أو يرتمي ساكنًا، أو ينفجر كالحطيم،

فهو العدم ليس أكثر من ملاط

وحجر، في مسجنه.

***

أدرج على الأرض عاري القدمين وأذهلها بالدوار،

فهي حبلى بالمرح والبراعم.

ربيع مصطخب يرتقي نحو النجوم.

والقمر ينشده مما يدور.

كلها لك، سماء الليل أعلى القمر،

فامتحن السير على أرض رطيبة.

المنشدون مهيمنون في أقدس الحانات،

السهر حتى الشفق. وجرب ألا تنام.

***

منعطف باطني بنا

يجعل الكون يدوخ.

رأسه غير مدركة للقدم، ولا القدم للرأس.

لا أحد مبال. كل إلى الدوران.

بهذا العزم يأتي الحب كي يرتاح في،
كائنات عدة في كائن متوحد.
بحبة قمح واحدة ألف حزمة أكداسًا
في سم الخياط، ليل دوار بالنجوم.

***

بسالة: ريم في موازاة كومة أسود.
بنيان صمد فوق صخر أديم، ويصمد،
هل تظن بحبي سوف يتقوض
إلى الأرض، عندما تتخلى؟

من جديد، أنا من دون ذاتي.

نجوت، لكني هنا قد رجعت على بحر، القدمان في الريح رأسًا على عقب، كولي حين يفتح عينيه بعد الصلاة:

الخلوة، السماط، وجوه رفيقة.

***

اصخ، لو تمكن منك الوفاء.

الوحدانية مع الرفيق تعني أنه لا تكون بمن تكون،

تكون محل السكينة: منزلة: رؤية

واللغة حشاها الشهود.

لا تسد نصحًا كريمًا إلي.

لقد ذقت من شر الحادثات.

واحتجزتني في مكان غير معروف، مصفدًا مكموما،

ليس لها أن تعقل ما حزت من عشق جديد.

***

في مسلخ العشق، يقتلون الأفضل فحسب،

لا الواهن ولا الشايين.

فلا تولي الأدبار من ميتة هكذا.

من لم يمت بالعشق فهو جيفة.

عندما ينبسط عشقك إلى اللب،

عرامة الأرض وغارات تنز على الهواء.

يصير الكون روحيًا، واحدًا وبسيطًا،

العشق زاج الروح.

***

من رأى مرة مثل هذي الندامى؟

دنان تنحطم، فالأرض منتفعة

وكذا السقيفة قد رصعت بالنجوم.

فتعجب، الكأس مترعة في يميني.

ذات يوم تخليني من ذاتي كلية،

فأستطيع مالا تستطيعه الملائكة.

إن هدبك سوف ينظم فوق خدي

القصيد التي ليست بمقدور أحد.

***

في داخل الماء، ساقية تدور.

نجم يلف مع القمر.

على بحر هذا الليل نحيا ذاهلين،

ما هذه الأنوار؟

في البدء غنيت ثم تلوت القصيد،

فأسهرت المجاورين.

الآن عاطفة أشد، وأكثر طمأنينة.

عندما النار تصطلي، يتلاشى الدخان.

***

حين تقيد، أنعتق.

لو ثوبخ أحتفي.

نصلك المشقوق عشق.

آنيتك أغنية.

أنصت إلى الأطياف داخل القصائد.

دعها لتأخذك حيث تريد.

اتبع تلك الإشارات الباطنية،

ولا تخلف مقدمة منطقية.

***

يخشى السكارى العسس،

لكن العسس سكارى بأكثر مما ينبغي.

أناس هذه البلدة مشغوفون بهم

وكأنهم أحجار شطرنج مميزة.

يرجع الليل حيث أتي.

كلهم عائد أحيانًا

يا ليل، عند وصولك،

احك لهم كم أحبك.

***

يغدو الليل فينعس الناس مثل السمك

في مياه سود. بعده نهار.

بعض الناس تلقط آلاتها.

يصنع الآخرون الصنيع ذاته.

في داخلنا يصدح صوت

بأبيات من "خسرو"، بمقطع من "شيرين".

صوت هادئ يستثيرنا.

وأحيانًا كلمات مثيرة تجعلنا هادئين.

***

تنشر ريح الصبح فوحها النضير.

لا بد ننهض كي ننشقه،

تلك الريح تجعلنا نعيش.

فتنسم، قبل أن تنقضي.

جسمي صغير حتى أن تراه بجهد.

كيف يمكن لهذا الحب الكبير أن يوجد بي؟

انظر إلى عينيك. صغيرتان،

ويمكنهما أن يبصرا أشياء هائلة.

***

أين هي القدم الجديرة بالتنزه في حديقة،

أو العين التي تستحق التطلع في الشجر؟

أرني رجلًا عازمًا

أن ينقذف في النار.

المراجـــع

1 – الديوان العربي البشير قهوجي
2 – قواعد العشق الأربعون مترجم/ إليف شفق
3 – المجالس السبعة مترجم/ أ.د. عيسى علي العاكوب
4 – رباعيات جلال الدين الرومي مترجم/ جلال الدين الرومي
5 – غربال الروح ترجمة/ عاشور العلويني
6 – المثنوي ترجمة/ السيد محمد جمال الهاشمي
7 – شمس تبريز ترجمة/ محمد السعيد جمال الدين
8 – نار العشق ترجمة/ ألما المحمد (باحثة سورية)

مواقع مختلفة في شبكة الإنترنت

فهرس المحتويات

تقديم 5
الفصل الأول: بطاقة تعارف 7
بطاقة تعارف 9
«موجز سيرته» 11
نسبه 11
حياته 11
تعاليمه 14
لمحات من مناقب جلال الدين الرومي 17
«مولده وألقابه ورحيل أسرته» 18
«عودة الرومي إلى قونية» 21
لقاؤه مع التبريزي 21
الفتنة ومقتل شمس تبريز 23
«رثاء شمس تبريز» 23

«أنا وأنت» 24
تلميذه وصديقه 27
أشهر أقوال جلال الدين الرومي من الحكم والمواعظ 29
أشهر أقوال جلال الدين الرومي من الحكم والمواعظ 31
«الفصل الثاني»: ابن الرومي وقواعد العشق الأربعون 39
قواعد العشق الأربعون 41
الفصل الثالث: أشهر أعمال جلال الدين الرومي الفكرية «المثنوي» 61
«ديوان المثنوي» 63
أشهر القصص التي قدمها جلال الدين الرومي في كتابه الضخم «المثنوي» 67
أولاً : قصة البقال والببغاء 69
ثانياً: قصة الأعرابي وزوجته 74
كيف أمر الأعرابي امرأته بالصبر 75
جواب المرأة 77
مراعاة المرأة زوجها واستغفارها إياه مما قالته 81
طرف من رموز الحكاية 91
الفصل الرابع: الرباعيات من أجمل أشعار جلال الدين الرومي 93
المراجـــع 126
الفهرس 127